شَرْحُ حِصْنِ الْمُسْلِمِ

مِنْ أَذْكَارِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

تمهيد:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [(١)].

{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [(٢)].

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [(٣)].

أما بعد: ...

يقول الله تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)}[(٤)]، **قال ابن عباس: إن الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله، فقال تعالى {فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ}**[(٥)] **وبالليل والنهار، وفي البر والبحر، وفي**

---

(١) [آل عمران: ١٠٢].

(٢) [النساء: ١].

(٣) [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

(٤) [الأحزاب: ٤١ - ٤٣].

(٥) [النساء: ١٠٣].

السفر والحضر، والغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال، وقال {وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}. فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته.

وروى الترمذي بسند صحيح عن عبد الله بن بُسْر أن رجلًا قال يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (١).

إخوة الإسلام:

الذكر هو منشور الولاية، الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت القلوب وجلاؤها.

بالذكر يزول الوقرُ عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار، زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته. قال الحسن: [تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرءان، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق].

وبالذكر يصرع العبدُ الشيطان، كما يصرعُ الشيطانُ أهل الغفلة والنسيان؛ قال بعض السلف [إذا تكمن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرعه كما يُصرعُ الإنسان إذا دنا منه الشيطان؛ فيجتمعُ عليه الشيطان فيقولون: ما لهذا؟ فيقال قد مسه الإنسي] قال ذو النون المصري [ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا برؤيته].

إخوة الإسلام: الذكر يعدل عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والحمل على الخيل في سبيل اللَّه عز وجل، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل اللَّه عز وجل، وهو خير الأعمال على الإطلاق؛ فعن أبي الدرداء، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم،

(١) سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٤٥٧).

وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم»؟ قالوا: بلى. قال: «ذكر الله تعالى» [١].

والله ما طلعت شمس ولا غربت ... إلا وحبك مقرون بأنفاسي
ولا جلست إلى قوم أحدثهم ... إلا وأنت حديثي بين جلاسي

إخوة الإسلام: من شاء منكم أن يسكن رياض الجنة في الدنيا = فليستوطن مجالس الذكر، فإنها رياض الجنة.

قال شيخ الإسلام: "إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ" [٢].

وعن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «حلق الذكر» [٣].

- دور الجنة تُبنى بالذكر، وكذلك زرعها ينبت بالذكر، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر= أمسكت الملائكة عن البناء والغراس.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان[٤]، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر"[٥]. فالذكر غراسها وبناؤها. قال الحسن: "بالذكر بأبي أنتم وأمي أعينوهم على العمل".

(١) سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٤٥٩)، صحيح ابن ماجة للألباني (٢٧٩٠).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٥٢).

(٣) سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٥٣٢)، السلسة الصحيحة (٢٥٦٢).

(٤) الأرض المستوية الملساء التي لا نبات فيها.

(٥) سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٥١٠) السلسلة الصحيحة (١/ ٢١٤)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٠٩) .

- الله تبارك وتعالى يباهي بالذاكرين ملائكته: روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ»(١). فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى = دليل على شرف الذكر، ومكانة الذاكر عنده.

- الذكر يجعلك في معية الله، ويجعلك تذكر في الملأ الأعلى، وهذا فضل عظيم ومقام كريم؛ قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ}(٢). وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم"(٣). وفي صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» (٤).

ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها= لكفى بها فضلا وشرفا؛ قال يحيى بن معاذ: " يا غفول، يا جهول؛ لو سمعت صرير الأقلام في اللوح المحفوظ، وهي تكتب اسمك عند ذكرك لمولاك = لُمتَ شوقا إلى مولاك".

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٧٥).

(٢) [البقرة: ١٥٢].

(٣) صحيح البخاري (٩/ ١٢١)، صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦١).

(٤)صحيح مسلم (٤/ ٢٠٧٤).

- الذكر حياة القلب وغذاء الروح، ففي صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت» [١].

- الذكر يحرز ويحصن العبد من الشيطان. عن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن الله أوحى إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فكأنه أبطأ بهن فأتاه عيسى فقال إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فإما أن تخبرهم وإما أن أخبرهم فقال يا أخي لا تفعل فإني أخاف إن سبقتني بهن أن يخسف بي أو أعذب قال فجمع بني إسرائيل ببيت المقدس حتى امتلأ المسجد وقعدوا على الشرفات ثم خطبهم فقال إن الله أوحى إلي بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن أولاهن لا تشركوا بالله شيئا فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق ثم أسكنه دارا فقال اعمل وارفع إلي فجعل يعمل ويرفع إلى غير سيده فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك فإن الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئا وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا فإن الله يقبل بوجهه إلى وجه عبده ما لم يلتفت وأمركم بالصيام ومثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة مسك كلهم يحب أن يجد ريحها وإن الصيام أطيب عند الله من ريح المسك وأمركم بالصدقة ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقربوه ليضربوا عنقه فجعل يقول هل لكم أن أفدي نفسي منكم وجعل يعطي القليل والكثير حتى فدى نفسه وأمركم بذكر الله كثيرا ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا في أثره حتى أتى حصنا حصينا فأحرز نفسه فيه وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله" [٢].

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ٨٦) رقم ٦٤٠٧.

(٢) صحيح ابن خزيمة (٣/ ١٩٥) برقم ١٨٩٥، صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٩٧) برقم ١٤٩٨.

- **لا تنشغل عن ذكر الله فـــ"الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، أو عالما أو متعلما"[١].**

وعن عمرو بن عبسة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما تستقل الشمس فيبقى شيء من خلق الله إلا سبح الله بحمده، إلا ما كان من الشيطان وأغبياء بني آدم»([٢]) .

- **وانظر إلى أحوال الذاكرين: أمر الحجاج بصلب "ماهان العابد" فرفع على خشبة الموت وهو يسبح ويهلل ويعقد بيده حتى بلغ تسعًا وعشرين؛ فبقي شهرًا بعد موته ويده على ذلك العقد مضمومة [٣].**

قال سلمة بن شبيب: كان خالد بن معدان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة، سوى ما يقرأ من القرآن، فلما مات فوضع على سريره ليغسل، جعل بأصبعه كذا يحركها –يعني: بالتسبيح [٤].

- **الخلاصة: قال معاذ بن جبل «ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله» [٥].**
- **وحتى يصل العابد إلى التدبر والتلذذ بذكر الله جل وعلا؛ فلا بد من فهم المعاني وعدم الاكتفاء بترديد المباني على اللسان.**

قال شيخ الإسلام:: وتدبر الكلام إنما ينتفع به إذا فهم.

قال الطبري: إني لأعجب ممن قرأ القرءان ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته.

والذكر يكون بالقلب واللسان، وهو أفضل الذكر

(١) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (٥/ ٢٣١) رقم ٤١١٢، صحيح الجامع (١/ ٦٤١) رقم ٣٤١٤.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ١١١)، صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٩٨٠) رقم ٥٥٩٩.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٣٦٤).

(٤) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤/ ٥٤٠).

(٥) صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٩٨٦) ٥٦٤٤.

ويكون بالقلب وحده، وهي الدرجة الثانية

ويكون باللسان وحده، وهي الدرجة الثالثة.

قال ابن القيم: "فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان. وإنما كان ذكر القلب وحده، أفضل من ذكر اللسان وحده؛ لأن ذكر القلب يُثمرُ المعرفة، ويهيّج المحبة، ويُثيرُ الحياء، ويَبْعثُ على المخافة، ويدعو إلى المراقبة، ويَرْدع عن التقصير في الطاعات، والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئًا من ذلك الإثمار، وإن أثمر شيئًا منها فثمرتهُ ضعيفة" [١].

- من أجل ذلك وغيره، اعتنى العلماء عناية بالغة بالأذكار، وألفوا فيها المؤلفات، وصنفوا فيها المصنفات، ورغبوا في قراءتها ونشرها... قال الذهبي: فعليك يا أخي بتدبر كتاب الله، وبإدمان النظر في (الصحيحين) و (سنن النسائي) ، و (رياض النواوي) وأذكاره،= تفلح وتنجح [٢].

ومن لطائف الأمثال : بع الدار واشتر الأذكار –أي كتاب الأذكار للنووي–

ومن هذه المصنفات التي جعل الله لها القبول بين العامة والخاصة = كتاب (**حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة**) للشيخ الدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني –رحمه الله تعالى– ، وهو كتاب صغير حجمه عظيم نفعه، ومن شدة إقبال الناس عليه تُرجم إلى عدة لغات عالمية، ولعل هذا لإخلاص مؤلفه نحسبه والله حسيبه.

وقد وقع الاختيار على هذا الكتيب النافع ليكون ضمن مقررات (أكادمية السنة للعلوم الشرعية) لحفظه مع شرحه شرحًا مختصرًا لإخواني من طلبة العلم في المرحلتين (التمهيدية، والعامة).

---

(١) الوابل الصيب لابن القيم ص (٢٢١).

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٩/ ٣٤٠).

وهذا الشرح ليس من كيسي "فالمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور"، فقد استفدت كثيرًا من شرح المؤلف الشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني: (إتحاف المسلم بشرح حصن المسلم)، واستفدت أيضًا من شرح البستي بن العربي غديري الجزائري: (فتح المنعم في التعليق على حصن المسلم)، وشرح حصن المسلم لأبي مسلم مجدي بن عبد الوهاب الأحمد، وغيرها من المراجع التي تراها مبثوثة في الحواشي، وسأذكر المراجع التي انتقيت وجمعت واختصرت منها هذا الشرح في آخر الكتاب بإذن الله جل وعلا.

والله أسأل التوفيق والسداد والهدى والرشاد وأن يوفقنا وإياكم إلى ما يحب ويرضى...آمين.

وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

قال المصنف رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحَمْدَ للَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنا، وَسَيِّئاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً،

أمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا مُخْتَصَرٌ اخْتَصَرْتُهُ مِنْ كِتَابِي: ((الذِّكْرُ وَالدُّعَاءُ وَالعِلاَجُ بِالرُّقَى مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)) اخْتَصَرْتُ فِيهِ قِسْمَ الأَذْكَارِ؛ لِيَكُونَ خَفِيفَ الْحَمْلِ فِي الأَسْفَارِ.

وَقَدِ اقْتَصَرْتُ عَلَى مَتْنِ الذِّكْرِ، وَاكْتَفَيْتُ فِي تَخْرِيجِهِ بِذِكْرِ مَصْدَرٍ أَوْ مَصْدَرَيْنِ مِمَّا وُجِدَ فِي الأَصْلِ، وَمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ الصَّحَابِيِّ أَوْ زِيَادَةً فِي التَّخرِيجِ فَعَلَيْهِ بِالرُّجُوعِ إِلَى الأَصْلِ.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ – عز وجل – بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلاَ أَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصاً لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ فِي حَيَاتِي، وَبَعْدَ مَمَاتِي، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ مَنْ قَرَأَهُ، أَوْ طَبَعَهُ، أَوْ كَانَ سَبَباً فِي نَشْرِهِ؛ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَلِيُّ ذَلِكَ، وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ.

المؤلف

حرر في شهر صفر ١٤٠٩هـ

عقد **المصنف** بابًا في فضل الذكر قبل الشروع في الأذكار **فقال -رحمه الله-:**

فَضْلُ الذِّكرِ

[قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}[1].]

الشرح: فأمر الله تعالى بذكره، ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره، فقال: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} وعن ابن عباس قال: ذكر الله إياكم، أكبر من ذكركم إياه.

وفي الحديث يقول الله تعالى: " مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ مِنَ النَّاسِ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَطْيَبَ "[2].

قال أبو العالية والربيع بن أنس: إن الله يذكر من ذكره، ويزيد من شكره، ويعذب من كفره.

قال سعيد بن جبير: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي.

وقال الحسن البصري: في قوله {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} اذكروني فيما افترضت عليكم أذكركم فيما أوجبت لكم على نفسي [ابن كثير].

قال الإمام البغوي: قال سعيد بن جبير اذكروني في النعمة والرخاء، أذكركم في الشدة والبلاء، بيانه {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}[3] [4].

وفي الحديث "تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ"[5].

- ثم قال تعالى: {وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}

لماذا أمر الله عز وجل بالشكر بعد أمره بالذكر؟

---

(١) [البقرة: ١٥٢]

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (١٥/ ١٤٥) رقم ٩٢٥٤

(٣) [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]

(٤) تفسير البغوي - طيبة (١/ ١٦٧)

(٥) مسند أحمد ط الرسالة (٥/ ١٩)

لأن الذكر هو رأس الشكر، فلهذا أمر به خصوصًا، ثم من بعده أمر بالشكر عمومًا، فقال:
{وَاشْكُرُوا لِي} أي: على ما أنعمت عليكم بهذه النعم، ودفعت عنكم صنوف النقم، والشكر يكون بالقلب إقرارًا بالنعم واعترافًا، وباللسان ذكرًا وثناءً، وبالجوارح طاعة لله وانقيادًا لأمره، واجتنابًا لنهيه، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة [١] {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}[٢].
ثم قال تعالى: {وَلَا تَكْفُرُونِ} ولا تجحدوا نعمي عليكم، فالله جل وعلا يجب أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

* * * * *

قال المصنف رحمه الله:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً}[٣].

الشرح: أمر الله عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى المنعم عليهم بأنواع النعم، وأصناف المنن لما لهم في ذلك من جزيل الثواب، وجميل المآب.
فعليكم بذكره سبحانه ذكرًا كثيرًا، من تهليل وتحميد وتسبيح وتكبير وغير ذلك، من كل قول فيه قربة إلى الله، وأقل ذلك أن يلازم الإنسان أوراد الصباح والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب، وفي جميع الأوقات على جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفته، وعون على الخير، وكفٌّ للِّسان عن الكلام القبيح.

* * * * *

(١) فتح المنعم في التعليق على حصن المسلم

(٢) [إبراهيم: ٧]

(٣) [الأحزاب: ٤١]

قال المصنف رحمه الله:

قال الله تعالى: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} [١].

الشرح: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ} أي في أكثر الأوقات خصوصًا أوقات الأوراد المقيدة، كالصباح والمساء، وأدبار الصلوات المكتوبات، والأحوال المختلفة ليلًا ونهارًا.

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ» [٢].

وفي سنن أبي داود عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتِ» [٣].

قال البغوي: قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا [٤].

ثم قال تعالى: (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) أي هيأ الله لهم مغفرة لذنوبهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات.

(وَأَجْراً عَظِيماً) لا يقدر قدره إلا الذي أعطاه، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

*****

---

(١) [الأحزاب: ٣٥]

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٢)برقم ٢٦٧٦.

(٣) سنن أبي داود (٢/ ٧٠) برقم ١٤٥١، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته(٢/ ١٠٤٢)، وصحيح وضعيف سنن أبي داود (ص: ٢، بترقيم الشاملة آليا).

(٤) تفسير البغوي - طيبة (٦/ ٣٥٢).

قال المصنف رحمه الله:

قال الله تعالى: {وَاذْكُرْ رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ} [(١)].

الشرح: أمر الله عبده ورسوله محمدًا أصلاً، وغيره تبعًا له، بذكر ربه في نفسه: أي مخلصًا خاليًا.
{**تَضَرُّعاً**} أي متخشعًا متواضعًا، متضرعًا بلسانك، مكررًا لأنواع الذكر، متذللًا له سبحانه وتعالى.

{**وَخِيفَةً**} في قلبك بأن تكون خائفًا من الله، وجل القلب منه، خوفًا أن يكون عملك غير مقبول، وعلامة الخوف: أن يسعى ويجتهد في تكميل العمل وإصلاحه، والنصح به.

{**وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ**} أي كن متوسطًا، لا تجهر بصلاتك، ولا تخافت بها، وابتغ بين ذلك سبيلًا، وهكذا يستحب أن يكون الذكر، لا يكون نداءً، ولا جهرًا بليغًا.
وفي الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ» [(٢)].
وقد يكون المراد من هذه الآية كما في قوله تعالى: {ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا} [(٣)] فإن المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن سبوه، وسبوا من أنزله، وسبوا من جاء به؛ فأمره الله تعالى ألا يجهر به، لئلا ينال منه المشركون، ولا يخافت به عن أصحابه فلا يسمعهم، وليتخذ سبيلا بين الجهر والإسرار [(٤)].

(١) [الأعراف: ٢٠٥].

(٢) صحيح البخاري (٥/ ١٣٣) رقم ٤٢٠٥ ، صحيح مسلم (٤/ ٢٠٧٦) رقم ٢٧٠٤.

(٣) [الإسراء:١١٠].

(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ٥٣٩).

ثم قال تعالى: {وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ} عن ذكر الله جل وعلا؛ الذين نسوا الله؛ فأنساهم أنفسهم، فإنهم حرموا خير الدنيا والآخرة، وأعرضوا عمن كل السعادة والفوز في ذكره وعبوديته، وأقبلوا على من كل الشقاوة والخيبة في الاشتغال به.

- وهذه من الآداب التي ينبغي للعبد أن يراعيها حق رعايتها، وهي الإكثار من ذكر الله آناء الليل والنهار، خصوصا طَرَفَيِ النهار، مخلصا خاشعا متضرعا، متذللا ساكنا، وتواطئا عليه قلبه ولسانه، بأدب ووقار، وإقبال على الدعاء والذكر، وإحضار له بقلبه وعدم غفلة، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه [١].

* * * * *

(١) تفسير السعدي (ص: ٣١٤).

ذكر المصنف بعض الآيات القرءانية في فضل الذكر، ثم ثَنَّى ببعض الأحاديث النبوية.

فقال رحمه الله:

[عن أبي موسى رضي الله عنه، قال:] **قال صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ»** [١].

الشرح: وهذا لفظ البخاري، ورواه مسلم بلفظ آخر عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» [٢].

قال ابن القيم رحمه الله: فَجَعَلَ بَيْتَ الذَّاكِرِ بِمَنْزِلَةِ بَيْتِ الْحَيِّ، وَبَيْتَ الْغَافِلِ بِمَنْزِلَةِ بَيْتِ الْمَيِّتِ وَهُوَ الْقَبْرُ.

وَفِي اللَّفْظِ الْأَوَّلِ: جَعَلَ الذَّاكِرَ بِمَنْزِلَةِ الْحَيِّ، وَالْغَافِلَ بِمَنْزِلَةِ الْمَيِّتِ،

فَتَضَمَّنَ اللَّفْظَانِ: أَنَّ الْقَلْبَ الذَّاكِرَ كَالْحَيِّ فِي بُيُوتِ الْأَحْيَاءِ، وَالْغَافِلَ كَالْمَيِّتِ فِي بُيُوتِ الْأَمْوَاتِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ أَبْدَانَ الْغَافِلِينَ قُبُورٌ لِقُلُوبِهِمْ وَقُلُوبَهُمْ فِيهَا كَالْأَمْوَاتِ فِي الْقُبُورِ، كَمَا قِيلَ:

فَنِسْيَانُ ذِكْرِ اللَّهِ مَوْتُ قُلُوبِهِمْ ... وَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورُ

وَأَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِهِمْ ... وَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورُ [٣].

قال ابن حجر: فشبه الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة وغير الذاكر بالبيت الذي ظاهره عاطل وباطنه باطل [٤].

فالذكر حياة القلب وغذاء الروح، قال شيخ الإسلام: الذكر للقلب مثل الماء للسمك: فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟ نسأل الله تبارك وتعالى أن يجدد الإيمان في قلوبنا آمين.

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ٨٦) برقم ٦٤٠٧.

(٢) صحيح مسلم (١/ ٥٣٩) برقم ٧٧٩.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٠٢).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢١١)

- **المراد بالذكر:** قال ابن حجر: والمراد بالذكر هنا الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار ونحو ذلك والدعاء بخيري الدنيا والآخرة.

ويطلق ذكر الله أيضا ويراد به: المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة [(١)].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٠٩).

قال المصنف رحمه الله:

[عن أبي الدرداء، قال:] **قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ»؟ قالُوا: بَلَى. قالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى»** [1].

قوله: (**أَلَا**) كلمة تنبيه؛ كأن المتكلم ينبه المخاطب على أمر عظيم الشأن، ظاهر البرهان.

(**أُنَبِّئُكُمْ**) من النبأ وهو الخبر. (**بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ**) أي أفضلها لكم.

(**وَأَزْكَاهَا**) أي: أطهرها، من الزكاة وهي الطهارة. (**عِنْدَ مَلِيكِكُمْ**): المليك: من أسماء الله، قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ} [2]. وكذلك المالك والملك.

(**وَأَرْفَعِهَا**) أي أكثرها رفعة. قوله: (**فِي دَرَجَاتِكُمْ**) أي منازلكم في الجنة.

(**وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ**) الوَرِقُ، بِكَسْرِ الرَّاءِ: الْفِضَّةُ [3].

(**وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ**) أي: من الكفار. (**فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ**) يعني تقتلوهم ويقتلونكم بسيف أو غيره.

(**قالُوا**) أي: الصحابة الحاضرون هذا المجلس رضي الله عنهم. (**بَلَى**) أي: بلى أخبرنا.

(**قالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى»**) قال العلامة الزرقاني رحمه الله: "لِأَنَّ سَائِرَ الْعِبَادَاتِ مِنَ الْأَنْفَالِ وَقِتَالِ الْعَدُوِّ وَسَائِلُ وَوَسَائِطُ يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالذِّكْرُ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَسْمَى، وَرَأْسُهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

---

(١) سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٤٥٩) برقم ٣٣٧٧ ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (٢٧٩٠).

(٢) [القمر: ٥٤، ٥٥].

(٣) لسان العرب (١٠/ ٣٧٥).

اللَّهُ، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الْعُلْيَا وَالْقُطْبُ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ رَحَى الْإِسْلَامِ وَالْقَاعِدَةُ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا أَرْكَانُهُ وَالشُّعْبَةُ الَّتِي هِيَ أَعْلَى شُعَبِ الْإِيمَانِ" [١].

- **<u>كيف يكون الذكر أفضل الأعمال</u>؟ ، مع ما ورد في فضل المجاهد أنه كالصائم لا يفطر وكالقائم لا يفتر؟ وغير ذلك مما يدل على أفضليته على غيره من الأعمال الصالحة.**

قال ابن حجر: وطريق الجمع والله أعلم
<u>أن المراد بذكر الله في حديث أبي الدرداء الذكر الكامل</u> وهو: ما يجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالتفكر في المعنى واستحضار عظمة الله تعالى وأن الذي يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار مثلا من غير استحضار لذلك، وأن أفضلية الجهاد إنما هي بالنسبة إلى ذكر اللسان المجرد،
فمن اتفق له أنه جمع ذلك كمن يذكر الله بلسانه وقلبه واستحضاره وكل ذلك حال صلاته أو في صيامه أو تصدقه أو قتاله الكفار مثلا فهو الذي بلغ الغاية القصوى والعلم عند الله تعالى،
وأجاب القاضي أبو بكر بن العربي بأنه ما من عمل صالح إلا والذكر مشترط في تصحيحه فمن لم يذكر الله بقلبه عند صدقته أو صيامه مثلا فليس عمله كاملا فصار الذكر أفضل الأعمال من هذه الحيثية ويشير إلى ذلك حديث نية المؤمن أبلغ من عمله [٢].

قال ابن القيم: الذاكر المجاهد أفضل من الذاكر بلا جهاد والمجاهد الغافل، والذاكر بلا جهاد أفضل من المجاهد الغافل عن الله تعالى.
فأفضل الذاكرين المجاهدون، وأفضل المجاهدين الذاكرون [٣].

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ (٢/ ٣٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢١٠).

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٣٩).

- وهناك مسلك آخر لأهل العلم في التوفيق بين الأحاديث المختلفة في فضائل الأعمال؛ وهو أن الاختلاف يكون على حسب المخاطب، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص.

قال ابن دقيق العيد: وقد اختلفت الأحاديث في فضائل الأعمال، وتقديم بعضها على بعض. والذي قيل في هذا: إنها أجوبة مخصوصة لسائل مخصوص، أو من هو في مثل حاله. أو هي مخصوصة ببعض الأحوال التي ترشد القرائن إلى أنها المراد. ومثال ذلك: أن يحمل ما ورد عنه – صلى الله عليه وسلم – من قوله «ألا أخبركم بأفضل أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم؟» وفسره بذكر الله تعالى – على أن يكون ذلك أفضل الأعمال بالنسبة إلى المخاطبين بذلك، أو من هو في مثل حالهم، أو من هو في صفاقم. ولو خوطب بذلك الشجاع الباسل المتأهل للنفع الأكبر في القتال لقيل له " الجهاد " ولو خوطب به من لا يقوم مقامه في القتال ولا يتمحض حاله لصلاحية التبتل لذكر الله تعالى، وكان غنيًا ينتفع بصدقة ماله لقيل له " الصدقة " وهكذا في بقية أحوال الناس، قد يكون الأفضل في حق هذا مخالفًا للأفضل في حق ذاك، بحسب ترجيح المصلحة التي تليق به [١].

قال ابن حجر: وهو يتكلم عن حديث ابن مسعود، سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قال: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين» قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

قال: ومحصل ما أجاب به العلماء عن هذا الحديث وغيره مما اختلفت فيه الأجوبة بأنه أفضل الأعمال أن الجواب اختلف لاختلاف أحوال السائلين؛ بأن أعلم كل قوم بما يحتاجون إليه، أو بما لهم فيه رغبة، أو بما هو لائق بهم، أو كان الاختلاف باختلاف الأوقات؛ بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل منه في غيره، فقد كان الجهاد في ابتداء الإسلام أفضل الأعمال لأنه الوسيلة إلى القيام بها والتمكن من أدائها، وقد تضافرت النصوص على أن الصلاة أفضل من الصدقة، ومع ذلك ففي وقت مواساة المضطر تكون الصدقة أفضل.

أو أن أفضل ليست على بابها بل المراد بها الفضل المطلق أو المراد من أفضل الأعمال فحذفت "من" وهي مرادة [٢].

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (١/ ١٦٣).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٩).

- قال العلامة ابن القيم رحمه الله:

وها هنا أمر ينبغي التفطن له وهو: أنه قد يكون العمل المعين أفضل في حق شخص، وغيره أفضل منه في حق غيره؛ فالغني الذى له مال كثير، ونفسه لا تسمح ببذل شيء منه، فصدقته وايثاره أفضل له من قيام الليل وصيام النهار نافلة.

والشجاع الشديد الذى يهاب العدو سطوته، وُقُوفه في الصف ساعة وجهادُه أعداءَ الله أفضلُ من الحج والصوم والصدقة والتطوع.

والعالم الذى قد عرف السنة والحلال والحرام وطرق الخير والشر، مخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم أفضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح.

ووليُّ الأمر الذى قد نصبه الله للحكم بين عباده جلوسه ساعة للنظر في المظالم، وإنصاف المظلوم من الظالم، وإقامة الحدود، ونصر المحق، وقمع المبطل = أفضل من عبادة سنين من غيره.

ومن غلبت عليه شهوة النساء فصومه له أنفع وأفضل من ذكر غيره وصدقته.

وتأمل تولية النبي لعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهما من أمرائه وعماله وترك تولية أبي ذر، بل قال له: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»[١]، وأمر غيره بالصيام، وقال: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ»[٢]، وأمر آخر بأن يغضب، وأمر ثالثًا بأن لا يزال لسانه رطبا من ذكر الله.

ومتى أراد الله بالعبد كمالًا وفَّقهُ لاستفراغ وسعه فيما هو مستعد له قابل له قد هُيِّئَ له، فاذا استفرغ وسعه فيه برز على غيره، وفاق الناس فيه وصار كما قيل:

ما زال يسبق حتى قال حاسدُه . . . له طريقٌ إلى العلياءِ مختصرُ

وهذا كالمريض الذى يشكو وجع البطن مثلا، اذا استعمل دواء ذلك الداء انتفع به، وإذا استعمل دواء وجع الرأس لم يصادف داءه، فالشحُّ المطاع مثلًا من المهلكات ولا يزيله صيام مائة عام ولا قيام

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٤٥٧) برقم ١٨٢٦.

(٢) سنن النسائي (٤/ ١٦٥) برقم ٢٢٢٢ .

ليلها. وكذا داء اتباع الهوى والإعجاب بالنفس لا يلائمه كثرة قراءة القرآن، واستفراغ الوسع والذكر والزهد، وإنما يزيله إخراجه من القلب بضده.

ولو قيل أيما أفضل: الخبز أو الماء؟

لكان الجواب أن هذا في موضعه أفضل، وهذا في موضعه أفضل [١].

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وأما ما سألت عنه من أفضل الأعمال بعد الفرائض؛ فإنه يختلف باختلاف الناس؛ فيما يقدرون عليه، وما يناسب أوقاتهم، فلا يمكن فيه جواب جامع مفصل لكل أحد؛ لكن مما هو كالإجماع بين العلماء بالله وأمره:

أن ملازمة ذكر الله دائما هو أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة، وعلى ذلك دل حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم: {سبق المفردون قالوا يا رسول الله ومن المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات} وفيما رواه أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: ذكر الله} .

والدلائل القرآنية والإيمانية بصرًا وخبرًا ونظرًا على ذلك كثيرة.

وأقل ذلك أن يلازم العبد الأذكار المأثورة عن معلم الخير وإمام المتقين صلى الله عليه وسلم كالأذكار المؤقتة في أول النهار وآخره، وعند أخذ المضجع، وعند الاستيقاظ من المنام، وأدبار الصلوات، والأذكار المقيدة مثل: ما يقال عند الأكل، والشرب، واللباس، والجماع، ودخول المنزل، والمسجد، والخلاء، والخروج من ذلك، وعند المطر، والرعد، إلى غير ذلك، وقد صنفت له الكتب المسماة بعمل اليوم والليلة.

ثم ملازمة الذكر مطلقًا وأفضله " لا إله إلا الله ". وقد تعرض أحوال يكون بقية الذكر مثل: " سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله " أفضل منه.

---

(١)عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢١٦: ٢١٨).

ثم يعلم أن كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله.

ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض أو جلس مجلسا يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقها فهذا أيضا من أفضل ذكر الله.

وعلى ذلك إذا تدبرت لم تجد بين الأولين في كلماتهم في أفضل الأعمال كبير اختلاف. وما اشتبه أمره على العبد فعليه بالاستخارة المشروعة فما ندم من استخار الله تعالى. وليكثر من ذلك، ومن الدعاء فإنه مفتاح كل خير ولا يعجل فيقول: قد دعوت فلم يستجب لي وليتحر الأوقات الفاضلة: كآخر الليل، وأدبار الصلوات، وعند الأذان، ووقت نزول المطر ونحو ذلك [١].

* * * * *

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦٠) .

قال المصنف رحمه الله:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **قَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً"** [١].

قوله: "**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى**" هذا الحديث بالنسبة إلى قائله، من الأحاديث القدسية.

والحديث القدسي: نسبة إلى "القدس" أي الطهر. أي الحديث المنسوب إلى الذات القدسية، وهو الله سبحانه وتعالى. فهو حديث مطهر عال على كلام الخلق. وتسمى أيضًا الإلهية، والربانية.

قوله: (**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**) قال ابن حجر: أي قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به.......وقال القرطبي في "المفهم": قيل معنى (**ظَنِّ عَبْدِي بِي**) ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكًا بصادق وعده، قال: ويؤيده قوله في الحديث الآخر "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة"

قال: ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقنًا بأن الله يقبله ويغفر له لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر ومن مات على ذلك وُكِلَ إلى ما ظن كما في بعض طرق الحديث المذكور "فليظن بي عبدي ما شاء" قال: وأما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل وَالْغِرَّةُ وهو يَجُرُّ إلى مذهب المرجئة [٢].

---

(١) صحيح البخاري (٩/ ١٢١) برقم ٧٤٠٥.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٨٥، ٣٨٦).

قوله: (**وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي**) ومعية الله نوعان:

١- معية عامة: للخلق جميعًا وهي اطلاعه سبحانه وتعالى عليهم، وعلمه بكل شيء، ومراقبته، وشهوده أفعال عباده، فتفيد الخوف منه كما قال تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}[1]. وكما في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }[2]. أي معهم بعلمه بهم وإحاطته لهم.

٢- معية خاصة: وهي خاصة بأهل الإيمان والطاعة، وتقتضي العناية والرعاية والنصرة والتاييد والهداية والحماية، كما في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}[3]. وقوله: يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}[4]، وقوله: {قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}[5]. وكما في هذا الحديث أيضًا، "**وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي**" أي: معه بالإجابة والتوفيق، وبسماع كلامه، وإثابته عليه، أو بحسب ما قصد من ذكره، ما لم يكن إثمًا، أو قطيعة رحم.

- **كيف يكون الله معنا وهو مستوٍ على عرشه ؟**

معية الله لا تخالف علوه سبحانه واستوائه على عرشه، كل هذا حقٌّ على ظاهره اللائق بجلال الله وكماله، فالله سبحانه أخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا.

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[6].

---

(١) [العلق: ١٤].

(٢) [المجادلة: ٧].

(٣) [النحل: ١٢٨].

(٤) [التوبة: ٤٠].

(٥) [طه: ٤٦].

(٦) [الحديد: ٤].

قوله: (**فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي**) أي: إذا ذكرت ربك منفردًا عن الناس سرًا، بأن تنطق بلسانك ولا يسمعك أحد، أو تذكر الله في قلبك بالتتريه والتقديس والتعظيم، وبالخوف والوجل حال الخلوة = فإن الله تبارك وتعالى يذكرك في نفسه من غير اطلاع أحد من خلقه على ذلك.

وفي هذا الحديث إثبات صفة النفس لله جل وعلا {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [١].

قوله: (**وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**) أي: وإن ذكرت ربك ظاهرًا في ملأ وفي جماعة يسمعون ذكرك لربك = فإن الله تعالى يذكرك ويثني عليك في ملأٍ وفي جماعة أفضل من الجماعة الذين ذكر العبد ربه فيهم، وهم الملائكة المكرمون الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

فإن خاف الإنسان على نفسه الرياء من الجهر فلا يجهر.

قوله: (**وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**).

الشبر: هو ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر.

الباع: هو قدر مد اليدين والذراعين بما في ذلك عرض الصدر.

وفي هذا الحديث بيان فضل الله تعالى وكرمه، وأنه يعطي أكثر مما فعل من أجله، أي: يعطي العامل أكثر مما عمل. فمن تقرب إلى الله تقربًا قليلًا = تقرب الله إليه تقربًا كثيرًا.

وهذه هي القاعدة في ثواب الله جل وعلا ؛ أنه يعطي أكثر مما فعل من أجله. قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} [٢] {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [٣].

---

(١) [الشورى: ١١].

(٢) [الأنعام: ١٦٠].

(٣) [البقرة: ٢٦١].

- **ما معنى المشي والهرولة من الله جل وعلا في هذا الحديث ؟**

هل المشي والهرولة في هذا الحديث على الحقيقة اللائقة بجلال الله وجماله وكماله؟ فنؤمن بذلك من غير تحريف ولا تكييف ولا تمثيل {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ونقول: ليس مشيه كمشي المخلوقين ولا هرولته كهرولتهم؟

أم المراد بذلك سرعة الإثابة والتوفيق والإكرام والرحمة من الله جل جلاله؟

فيكون المعنى: من تقرب إليَّ بطاعتي = تقربت إليه برحمتي وتوفيقي وإعانتي، وإن زاد زدت.

فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي = أتيته هرولة، أي: صببت عليه الرحمة، وسبقته بها، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود، والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه.

قال العلامة العثيمين:

وهذا الحديث كغيره من النصوص الدالة على قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى، وأن سبحانه فعال لما يريد، كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [صفة الإجابة والقرب]، وقوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً}، وقوله: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} ، وقوله: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} ، وقوله صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر"، وقوله صلى الله عليه وسلم: "ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه"،[صفة الأخذ] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على قيام الأفعال الاختيارية به تعالى.

فقوله في هذا الحديث: تقربت منه وأتيته هرولة؛ من هذا الباب.

والسلف أهل السنة والجماعة يجرون هذه النصوص على ظاهرها، وحقيقة معناها اللائق بالله عز وجل، من غير تكييف ولا تمثيل......... فأي مانع يمنع من القول بأنه يقرب من عبده كيف يشاء مع علوه ؟، وأيّ مانع يمنع من إتيانه كيف يشاء بدون تكييف ولا تمثيل ؟.

وهل هذا إلا من كماله أن يكون فعالًا لما يريد، على الوجه الذي به يليق ؟.

وذهب بعض الناس إلى أن قوله تعالى في هذا الحديث القدسي: (**أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**) يراد به: سرعة قبول الله تعالى وإقباله على عبده المتقرب إليه، المتوجه بقلبه وجوارحه، وأن مجازاة الله للعامل له أكمل من عمل العامل.

وعلل ما ذهب إليه بأن الله تعالى قال: "ومن أتاني يمشي" ومن المعلوم أن المتقرب إلى الله عز وجل، الطالب للوصول إليه، لا يتقرب ويطلب الوصول إلى الله تعالى بالمشي فقط، بل تارة يكون بالمشي كالسير إلى المساجد، ومشاعر الحج، والجهاد في سبيل الله، ونحوها. وتارة بالركوع والسجود ونحوهما. وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، بل قد يكون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه والعبد مضطجع على جنبه، كما قال الله تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ} ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين: "صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب".

قال: فإذا كان كذلك، صار المراد بالحديث بيان مجازاة الله تعالى العبد على عمله، وأن من صدق في الإقبال على ربه وإن كان بطيئًا جازاه الله تعالى بأكمل من عمله وأفضل.

وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية المفهومة من سياقه.

وإذا كان هذا ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية، لم يكن تفسيره به خروجًا به عن ظاهره، ولا تأويلاً كتأويل أهل التعطيل، فلا يكون حجة لهم على أهل السنة. ولله الحمد.

- وما ذهب إليه هذا القائل له حظ من النظر، لكن القول الأول أظهر وأسلم وأليق بمذهب السلف [(١)].

* * * * *

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص: ٧٠).

قال المصنف رحمه الله:

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» [(١)].

قوله: (شَرَائِعَ الإِسْلَامِ): جمع شريعة، أي: ما شرعه الله وأظهره، لعباده من أمور الإسلام ، مثل: الصلاة، والزكاة، والصوم، والجهاد، والحج، وغير ذلك من العبادات المالية والبدنية.

قال الملا علي القاري: والظاهر أن المراد بها هنا النوافل لقوله: (قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ)...أي: غلبت علي بالكثرة حتى عجزت عنها لضعفي [(٢)].

قال الطيبي: ولم يرد بقوله: (قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ) أنه يترك ذلك رأسًا، ويشتغل بغيره فحسب، وإنما أراد أنه بعد أداء ما افترض عليه يتشبث بما يستغنى به عن سائر ما لم يفترض عليه [(٣)].

قوله: (فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ) يسير مستجلب لثواب كبير.

قوله: (أَتَشَبَّثُ بِهِ) أتعلق به، وأستمسك به، ويثقل به ميزاني مع يسره عليَّ.

فلما اشتكى الرجل من كثرة شرائع الإسلام وأنه ضعف عنها = أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بأن علاجه في ذكر الله جل وعلا.

"فدله الناصح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على شيء يبعثه على شرائع الإسلام والحرص عليها والاستكثار منها، فإنه إذا اتخذ ذكر الله شعاره أحبَّه وأحبَّ ما يُحِبُّ، فلا شيء أحب إليه من التقرب بشرائع الإسلام، فدله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما يتمكن به من شرائع الإسلام، وتسهل به عليه وهو ذكر الله عز وجل".

(١) سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٤٥٧) برقم ٣٣٧٥. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة برقم ٣٧٩٣.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٥٥٨).

(٣) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٥/ ١٧٣٩).

فقال له: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» لأن "ذكر الله عز وجل من أكبر العون على طاعته، فإنه يحببها إلى العبد ويسهلها عليه ويلذذها له ويجعل قرة عينه فيها، ونعيمه وسروره بها بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل" (١).

قوله: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» أي: طريًا مشتغلا قريب العهد منه؛ كنايةٌ عن المداومة على الذكر (٢).
والمعنى: أن اللسان إن لم يكن طريًا بذكر الله صار يابسًا كالأرض الميتة؛ لأن الذكر يحيي كل موضع يوجد فيه، كالمطر إذا نزل على الأرض اليابسة يحييها بعد موتها.

*** * * * ***

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٧٦).

(٢) تحفة الأحوذي (٩/ ٢٢٣).

قال المصنف رحمه الله:

قَالَ: مُحَمَّد بْن كَعْبٍ القُرَظِيّ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»**[(١)].

قوله: (**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ**) أي: حرفًا واحدًا من حروف الهجاء من القرءان الكريم (**فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ**) قال النووي: الحسنة في الدنيا: أنها العبادة والعافية، وفي الآخرة: الجنة والمغفرة، وقيل الحسنة: نعم الدنيا والآخرة[(٢)].

(**وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا**) أي: مضاعفةٌ بالعشر، وهو أقل التضاعف الموعود بقوله تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا}[(٣)]. والله يضاعف لمن يشاء.

«لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»

وهذا تأكيد وتوضيح على أن كل حرف من كتاب الله تعالى على قراءته أجر.

"وقد كانت عادة العرب: أنهم يطلقون على الكلمة: (حرفًا)، ويطلقون على الجملة والخطبة: (كلمة)، فحتى لا يظن السامع أن النبي صلى الله عليه وسلم يقصد أن الكلمة حرف، وضح ذلك وقال: (لا أقول: (الم) حرف)، أي: إنما هذه ثلاثة أحرف، وليست حرفاً واحداً: (ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف).

وفي هذا الحديث بيان أن لك بكل حرف تقرؤه من القرآن عشر حسنات، فقد قال صلى الله عليه وسلم فيه: (فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا)، فإذا قرأت بفاتحة الكتاب مثلاً، وقرأت: (بسم الله

---

(١) سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ١٧٥) برقم ٢٩١٠، وانظر السلسلة الصحيحة (٧/ ٩٧٠) برقم ٣٣٢٧.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٤).

(٣)[الأنعام: ١٦٠].

الرحمن الرحيم)، فإنك تأخذ حسنات كثيرة، بعدد حروف الكلمة التي تقرؤها فضلاً من الله سبحانه" [١].

- وفي هذا الحديث بيان سعة رحمة الله جل وعلا وعظيم فضله وكرمه وأنه يضاعف الحسنة إلى عشر أمثالها.
- والحث على الإكثار من تلاوة القرآن الكريم، الذي يحمل على الأجور العظيمة.

* * * * *

قال المصنف رحمه الله:

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ» [٢].

قوله: "وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ" أي في موضع مظلل في مؤخرة المسجد النبوي الشريف كان فقراء المهاجرين يأوون إليه، وينامون فيه، وهم الْمُسَمَّوْنَ بأصحاب الصفة وكانوا أضياف الإسلام، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخصهم بما يأتيه من الصدقة، ويشركهم فيما يأتيه من الهدية.

"أَيُّكُمْ يُحِبُّ" استفهام يراد منه التنبيه لاستماع الخطاب.

"أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ" أن يُبَكِّرَ ويذهب في الغُدوة وهي: أول النهار.

---

(١) شرح رياض الصالحين - حطيبة (٩٤/ ٥، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٥٥٢) ٨٠٣.

"إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ" هما من أودية المدينة، كانا يعرفان باتساعهما، وإقامة أسواق الإبل فيهما؛ وخصهما بالذكر لأنهما أقرب المواضع التي يقام فيها أسواق الإبل إلى المدينة.

"فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ" الكوماء من الإبل العظيمة السنام، وإنما ضرب المثل بها لأنها من خيار مال العرب.

"فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ" في غير ما يوجب إثمًا، كسرقة وغصب، وفي غير ما يوجب قطع رحم.

«فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ» أي: من الإبل، «وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ» جمع عدد «مِنَ الْإِبِلِ».

أي: مثل أعدادهن من الإبل: بيان للأعداد فخمس آيات خير من خمس إبل وعلى هذا القياس.

- "والحاصل أنه صلى الله عليه وسلم أراد ترغيبهم في الباقيات، وتزهيدهم عن الفانيات فَذِكْرُهُ هذا على سبيل التمثيل والتقريب إلى فهم العليل، -[وخاطبهم على ما تعارفوه، فإنهم أهل إبل]- وإلا فجميع الدنيا أحقر من أن يقابل بمعرفة آية من كتاب الله تعالى أو بثوابها من الدرجات العلى" [١].

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا» [٢].

* * * * *

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم (٤/ ٢٣١).

(٢) صحيح البخاري (٤/ ٣٥).

قال المصنف رحمه الله:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، **عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا، لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ»** [١].

قال الملا علي القاري: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا» أي: مجلسًا أو قعودًا

(لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ): أي: في ذلك المجلس، أو في ذلك الجلوس

(كَانَتْ) : أي: الْقَعْدَةُ ، وفي نسخة: كان أي: القعود

(عَلَيْهِ) : أي: على القاعد

(مِنَ اللَّهِ) : أي: من جهة حكمه وأمره وقضائه وقدره

(تِرَةٌ) أي: تَبِعَةٌ وَمُعَاتَبَةٌ، أَوْ نُقْصَانٌ وَحَسْرَةٌ، مِنْ وَتَرَهُ حَقَّهُ: نَقَصَهُ، وَهُوَ سَبَبُ الْحَسْرَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى {وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} [محمد: ٣٥]. أي: [لن ينقصكم ثواب أعمالكم].

(وَمَنِ اضْطَجَعَ) [أي نام، أو استلقى ووضع جنبه بالأرض، والاضطجاع هو النوم]

(مَضْجَعًا) : أَيْ: مَكَانَ ضِجْعَةٍ وَافْتِرَاشٍ

(لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ) : أَيِ: الِاضْطِجَاعَةُ، أَوْ كَانَ أَيِ: الِاضْطِجَاعُ الْمَذْكُورُ، أَوْ عَدَمُ ذِكْرِ اللَّهِ (عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ) [٢].

أي: من اضطجع لأجل النوم فلا يخلو ذلك الاضطجاع من ذكر الله سبحانه وتعالى، وإلا فإنه يكون نقصًا عليه.

فعلى العبد أن يستغرق جميع أوقاته، في جميع أحواله بذكر الله تعالى ولا يفتر عنه، فإن تركه حسرة وندامة.

قال بعضُ السَّلف: يعرض على ابن آدم يوم القيامة ساعاتُ عمره، فكلُّ ساعة تمرُّ بابنِ آدمَ لم يذكر الله فيها تتقطَّعُ نفسه عليها حسراتٍ [٣].

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٦٤) برقم ٤٨٥٦، وانظر السلسلة الصحيحة (١/ ١٥٩) برقم ٧٨.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٥٥٤) بتصرف يسير.

(٣) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل (١/ ٣٧١).

قال المصنف رحمه الله:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ **صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ قالَ: «مَا جلَس قوْمٌ مَجلْسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فيهِ، ولَمْ يُصلُّوا علَى نبيِّهمْ، إلَّا كَانَ علَيْهِمْ ترةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإنْ شاءَ غفرَ لهُمْ»** [1].

«مَا جلَسَ قوْمٌ مَجْلسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فيه» الذكر هنا عام يدخل فيه: قراءة القرآن، والتسبيح، والتحميد، والتهليل، والدروس والمواعظ والمحاضرات، وغيرها مما فيه ذكر الله تعالى.

«ولَمْ يُصلُّوا علَى نَبيِّهمْ، إلَّا كَانَ» أي: ذلك المجلس **«علَيْهِمْ ترَةً»** أي: "تبعة ومعاتبة أو نقصانًا وحسرة **«فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ»** أَيْ بِذُنُوبِهِمُ السَّابِقَةِ وَتَقْصِيرَاتِهِمُ اللَّاحِقَةِ.

«وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ» أَيْ فَضْلًا مِنْهُ وَرَحْمَةً، وَفِيهِ إِيمَاءٌ بِأَنَّهُمْ إِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ لَمْ يُعَذِّبْهُمْ حَتْمًا بَلْ يَغْفِرُ لَهُمْ جَزْمًا" [2].

قال الشوكاني: "وفي هذا الحديث دليل على أن المجلس الذي لم يذكر الله تعالى فيه، ولم يُصلِّ على رسوله فيه، يكون حسرة يوم القيامة على أهله، لما فاتهم من الأجر والثواب، وإن دخلوا الجنة للثواب على أعمالهم مع تفضل الله سبحانه عليهم بدخولها، فإنه قد فاتهم ما فيه زيادة في الدرجات، وكثرة في المثوبات، ولهذا كان عليهم حسرة يوم القيامة، أي: بفوات الثواب بترك الذكر، والصلاة" [3].

* * * * *

(١) سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٤٦١) برقم٣٣٨٠، السلسلة الصحيحة (١/ ١٥٦) رقم ٧٤.

(٢) تحفة الأحوذي (٩/ ٢٢٨).

(٣) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين (ص: ٤٠).

قال المصنف رحمه الله:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً»** [١].

«إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ» أَيْ مِثْلُهَا فِي النَّتْنِ وَالْقَذَارَةِ وَذَلِكَ لِمَا يَخُوضُونَ مِنَ الْكَلَامِ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ **«وَكَانَ»** أَيْ: ذَلِكَ الْمَجْلِسُ
«لَهُمْ» وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ عَلَيْهِمْ **«حَسْرَةً»** يَوْمُ الْقِيَامَةِ، أَيْ: نَدَامَةٌ لَازِمَةٌ لَهُمْ لِأَجْلِ مَا فَرَّطُوا فِي مَجْلِسِهِمْ ذَلِكَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى [٢].

"وقال مجاهد: ما جلس قومٌ مجلساً، فتفرَّقوا قبل أنْ يذكُرُوا الله، إلا تفرَّقوا عن أنتنِ من ريح الجيفة، وكان مجلسُهم يَشهدُ عليهم بغفلتهم، وما جلس قومٌ مجلساً، فذكروا الله قبل أنْ يتفرَّقوا، إلاَّ تفرَّقوا عن أطيب من ريحِ المسك، وكان مجلسهم يشهدُ لهم بذكرهم" [٣].

قال المناوي: "فيتأكد ذكر الله والصلاة على رسوله عند إرادة القيام من المجلس وتحصل السنة في الذكر والصلاة بأي لفظ كان لكن الأكمل في الذكر سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وفي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ما في آخر التشهد" [٤].

*****

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٦٤) برقم ٤٨٥٥، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١٥٨).

(٢) عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٣/ ١٣٨).

(٣)جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل (١/ ٣٧١).

(٤) فيض القدير (٥/ ٤٣٩)

قال المصنف رحمه الله:

١ - أَذْكَارُ الاسْتِيقَاظِ مِنَ النَّومِ

١ - ((الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)).

نص الحديث: عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: «بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا» وَإِذَا قَامَ قَالَ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**» [(١)].

«**الحَمْدُ لِلَّه**» الحمد هو: الثناء على الله بصفات الكمال، ونعوت الجلال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، على وجه المحبة والتعظيم.

فهو جل وعلا محمود في ابتداء الخلق وانتهاء الخلق واستمرار الخلق ومحمود على ما أنزل على عبده من الشرائع محمود على كل حال ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه ما يسره قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وإذا أتاه ما يخالف ذلك قال الحمد لله على كل حال [(٢)].

«**الَّذِي أَحْيَانَا**» الذي أيقظنا بعد نومنا ورد أرواحنا بعد قبضها؛ فإن النوم هو الموت الأصغر [(٣)].

فالأرواح بيد الله وحده، فإن شاء أمسكها، وإن شاء أرسلها، فله الحكمة البالغة.

(١) صحيح البخاري (٨/ ٦٩) رقم ٦٣١٢.

(٢) شرح رياض الصالحين (٥/ ٤٥٦).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني (٨/ ٣١٤).

«بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا» "المراد بأماتنا: النوم" [١].

قال ابن حجر في الفتح: قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ: النَّفْسُ الَّتِي تُفَارِقُ الْإِنْسَانَ عِنْدَ النَّوْمِ هِيَ الَّتِي لِلتَّمْيِيزِ

وَالَّتِي تُفَارِقُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ هِيَ الَّتِي لِلْحَيَاةِ وَهِيَ الَّتِي يَزُولُ مَعَهَا التَّنَفُّسُ

وَسُمِّيَ النَّوْمُ مَوْتًا: لِأَنَّهُ يَزُولُ مَعَهُ الْعَقْلُ وَالْحَرَكَةُ تَمْثِيلًا وَتَشْبِيهًا قَالَهُ فِي النِّهَايَةِ

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْمَوْتِ هُنَا: السُّكُونَ كَمَا قَالُوا مَاتَتِ الرِّيحُ أَيْ: سَكَنَتْ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَطْلَقَ الْمَوْتَ عَلَى النَّائِمِ بِمَعْنَى إِرَادَةِ سُكُونِ حَرَكَتِهِ لِقولِهِ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لتسكنوا فِيهِ} قَالَهُ الطِّيبِيُّ ....وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهِمِ النَّوْمُ وَالْمَوْتُ يَجْمَعُهُمَا انْقِطَاعُ تَعَلُّقِ الرُّوحِ بِالْبَدَنِ وَذَلِكَ قَدْ يَكُونُ ظَاهِرًا وَهُوَ النَّوْمُ وَلِذَا قِيلَ النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ وَبَاطِنًا وَهُوَ الْمَوْتُ فَإِطْلَاقُ الْمَوْتِ عَلَى النَّوْمِ يَكُونُ مَجَازًا لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي انْقِطَاعِ تَعَلُّقِ الرُّوحِ بِالْبَدَنِ [٢].

«وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» وإليه [وحده] الإحياء بعد الموت، لا إلى غيره للإثابة والعقوبة [٣].

"فنبه –صلى الله عليه وسلم– بإعادة اليقظة بعد النوم الذي هو كالموت على إثبات البعث بعد الموت [٤]. فالاستيقاظ بعد الموت برهان على قدرة الله عز وجل على الإحياء بعد الموت والفناء.

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٣٥).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١١٤).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (٨/ ٣١٤).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٣٥).

[والحكمة من ذكر الله تعالى عند الصباح].

ليكون مفتتح الأعمال، وابتداؤها ذكر الله [والتوحيد، والكلم الطيب، وتجديد الإيمان بالله، والاعتراف بأنّ الأمور كلها له وبيده]، وكذلك ذكر الله عند النوم ليختم عمله بذكر الله تعالى، فتكتب الحفظة في أول صحيفته عملًا صالحًا وتختمها بمثله، فيرجى له مغفرة ما بين ذلك من ذنوبه (١).

❋❋❋❋❋

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٩/ ٢٣٣)، إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٢١٢).

قال المصنف رحمه الله:

٢ – ((لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ للَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، رَبِّ اغْفِرْ لِي)).

نص الحديث: عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ حِينَ يَسْتَيْقِظُ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ**، ثُمَّ دَعَا رَبِّ اغْفِرْ لِي، غُفِرَ لَهُ – قَالَ الْوَلِيدُ[١]: أَوْ قَالَ: دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ –، فَإِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى، قُبِلَتْ صَلَاتُهُ " [٢].

قوله: "**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ**" أي: من استيقظ من نومه ليلا.

لماذا قال "**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ**" ؟ ولم يقل "من استيقظ من الليل"، أو "من انتبه من الليل"، أو "من هب من الليل" ونحو ذلك؟

[والجواب]

"أن (**تَعَارَّ**) يتعار: يستعمل في انتباه معه صوت يقال: **تَعَارَّ** الرجلُ إذا هب من نومه مع صوت.

واستعمال هذا اللفظ في هذا الموضع دون الهبوب والانتباه والاستيقاظ وما في معناه لزيادة معنى، وهو: أنه أراد أن يخبر بأن من هب من نومه ذاكرًا لله تعالى مع الهبوب فيسأل الله خيراً أعطاه، فقال: (**تَعَارَّ**): ليدل على المعنيين.

---

(١) أحد رواة الحديث.

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٥٤) رقم ١١٥٤، سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٧٦) برقم ٣٨٧٨ واللفظ له.

[لأن المستيقظ قد يُصَوِتُ بغير ذكر، فخص الفضل المذكور بمن صوت بما ذكر من ذكر الله تعالى]، وهذا مثل قوله تعالى: {يخرون للأذقان سجداً} فإن معنى خرَّ سقط سقوطًا يسمع منه خرير، ففي استعمال الخرور في هذا الموضع تنبيه على اجتماع الأمرين السقوط، وحصول الصوت منهم بالتسبيح، وكذلك في قوله "تَعَارَّ" تنبيه على الجمع بين الانتباه والذكر، وإنما يوجد ذلك عند من تعود الذكر فاستأنس به وغلب عليه حتى صار حديث نفسه في نومه ويقظته [فَأَكْرَمَ من اتصف بذلك بإجابة دعوته وقبول صلاته] " [١].

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أي: لا معبود بحق إلا الله. قال المناوي: من مات معتقدا لها فهو الذي مات لا يشرك بالله شيئا [٢].

(وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ): تأكيدٌ للوحدانية، وأنه المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، والمستحق للعبادة وحده لا شريك له.

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ): تشتمل على ركنين عظيمين: النفي والإثبات.

النفي في قوله: (لَا إِلَهَ) وهو نفي للعبودية عن كل من سوى الله.

والإثبات في قوله: (إِلَّا اللَّهُ) وهو إثبات للعبودية بكل معانيها لله عز وجل.

وقد أكد هذين الأمرين بقوله: (وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)، فقوله: (وَحْدَهُ) فيه تأكيد للإثبات، وقوله: (لَا شَرِيكَ لَهُ) فيه تأكيد للنفي.

وفي هذا دلالة على أهمية التوحيد والبدء به وتقديمه على ما سواه، والتأكيد على العناية بفهم معناه

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٤٠)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩١٧)، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ٢٠٤) بتصرف.

(٢) فيض القدير (١/ ١٠٣).

والقيام بمدلوله، وتطبيق مقتضاه" [١].

(لَهُ الْمُلْكُ) في جميع العوالم العلوية منها والسفلية، ويملك كل شيء.

(وَلَهُ الْحَمْدُ) في الأولى والآخرة؛ لأنه الحميد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

قال ابن القيم (الْحَمْدُ) هو: الإِخبار بمحاسن المحمود على وجه الحب له"[٢].

(وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أي: يفعل ما يريد من غير ممانع، ولا معارض، قال ابن جرير: ((وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ذُو قُدْرَةٍ يَقُولُ: يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، وَيُمِيتُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُغْنِي مَنْ أَرَادَ، وَيُفْقِرُ مَنْ يَشَاءُ وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ، لِأَنَّهُ ذُو الْقُدْرَةِ التَّامَّةِ الَّتِي لَا يُعْجِزُهُ مَعَهَا شَيْءٌ [٣].

وهذه براهين ودلائل التوحيد: فالذي له التوحيد الخالص هو المالك للملك، المستحق للحمد، القدير على كل شيء، ومن سواه لا يستحق من العبادة شيئًا {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} [٤].

(سُبْحَانَ اللَّهِ) معنى سبحان الله: تنزيه الله، أي: تَـنَـزَّه وتقدس عن كل عيب ونقص، فهو صاحب الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه. (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ) على نعمه التي لا تعد ولا تحصى. قال النووي "التحميد الثناء بجميل الفعال والتمجيد الثناء بصفات الجلال" [٥].

(وَاللَّهُ أَكْبَرُ): الله أكبر من كل شيء؛ الله أكبر مما سواه تعظيمًا وإجلالًا، ومحبة وثناءً، ورغبة ورهبة.

---

(١) فتح المنعم في التعليق على حصن المسلم.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ١١٤).

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٣/ ٥).

(٤) [سبأ: ٢٢].

(٥) شرح النووي على مسلم (٤/ ١٠٤)

(وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه): لا حيلة لأحد في جلب نفع أو دفع ضر إلا بإرادته وتوفيقه، وإحسانه، وكرمه وجوده.

قال ابن رجب الحنبلي : لا تَحوُّلَ للعبد مِنْ حال إلى حال، ولا قُوَّة له على ذلك إلا بالله، وهذه كلمةٌ عظيمةٌ، وهي كنز من كنوز الجنة، فالعبدُ محتاجٌ إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلِّها في الدنيا وعندَ الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله – عز وجل –، فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه [(١)].

(الْعَلِيِّ) ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته، فهو العالي على جميع خلقه، بائن منهم، رقيب عليهم، فله العلو المطلق من جميع الوجوه: علو الذات وعلو الصفات وعلو القدر وعلو القهر والغلبة. فهو الذي على العرش استوى وعلى الملك احتوى، وبجميع صفات العظمة والكبرياء، والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف وإليه فيها المنتهى" [(٢)].

(الْعَظِيم): الذي اتصف بجميع معاني الجلال والكمال والعظمة "والكبرياء والمجد والبهاء الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء، وإن جلت في الصفة، فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم [(٣)].

(ثُمَّ دَعَا) إظهارًا للعجز والافتقار، وعلمًا منه: بأن الله هو الكاشف للكرب، والأضرار، وقيامًا بعبادة الدعاء عند الاضطرار [(٤)].

---

(١) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل (٢/ ٥٧٣).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ١٦٩).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ٢١٦).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٥/ ٧١)

(**رَبِّ اغْفِرْ لِي**) استرني بمحو ذنوبي مع التجاوز عن المؤاخذة ومناقشة الحساب [(١)].

(**غُفِرَ لَهُ**): قال ابن علان: أي الصغائر المتعلقة بحق الله بالعفو عنها وعدم المؤاخذة بها [(٢)] .

(**فَإِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى، قُبِلَتْ صَلَاتُهُ**) فإن بادر إلى الوضوء والصلاة في تلك الحال وذلك الوقت، فصلاته حرية بالقبول، والقبول في هذا الموطن أرجى منه في غيره.

ولو تسوك في هذا الوقت كان أفضل، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ، " أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَنَامُ إِلَّا وَالسِّوَاكُ عِنْدَهُ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ" [(٣)].

قَالَ بن بَطَّال: "وَعَدَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ، أَنَّ: مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ لَهِجًا لِسَانُهُ بِتَوْحِيدِ رَبِّهِ، وَالْإِذْعَانِ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالِاعْتِرَافِ بِنِعَمِهِ يَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيُنَزِّهُهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ بِتَسْبِيحِهِ، وَالْخُضُوعِ لَهُ بِالتَّكْبِيرِ، وَالتَّسْلِيمِ لَهُ بِالْعَجْزِ عَنِ الْقُدْرَةِ إِلَّا بِعَوْنِهِ، أَنَّهُ إِذَا دَعَاهُ أَجَابَهُ، وَإِذَا صَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ، فَيَنْبَغِي لِمَنْ بَلَغَهُ هَذَا الْحَدِيثُ، أَنْ يَغْتَنِمَ الْعَمَلَ بِهِ، وَيُخْلِصَ نِيَّتَهُ لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" [(٤)].

*****

---

(١) إتحاف المسلم بشرح حصن المسلم (١/ ٦٧).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٦/ ٦٥١).

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (١٠/ ١٨٧).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٤١).

قال المصنف رحمه الله:

٣ - ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ)).

نص الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ إِزَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدُ، فَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيَقُلْ: **الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ** " [١].

(الحَمْدُ لِلَّهِ): وصف المحمود بصفات الكمال على وجه المحبة والتعظيم.

(الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي): أي: كتب لي العافية من الأوجاع والأسقام والبلايا، وحفظني في فراشي من لسع حية أو لدغ عقرب وطوارق الليل أو غيره من المهلكات.

(وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي): أي: وردَّ عليَّ رُوحِي الْمُمَيِّزَةُ بِرَدِّ تَمْيِيزِهَا الزَّائِلِ عَنْهَا بِنَوْمِهَا [٢].

قال المناوي: (الذي رد علي روحي) إحساسي وشعوري والنوم أخو الموت قال الله تعالى {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها} ومن ثَمَّ قيل: النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل [٣].

---

(١) سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٤٧٢) رقم ٣٤٠١.، وانظر صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٤٠١، بترقيم الشاملة آليا)

(٢) تحفة الأحوذي (٩/ ٢٤٥).

(٣) فيض القدير (١/ ٢٨٠).

وَقَالَ الطِّيبِيُّ: الْحِكْمَةُ فِي إِطْلَاقِ الْمَوْتِ عَلَى النَّوْمِ أَنَّ انْتِفَاعَ الْإِنْسَانِ بِالْحَيَاةِ إِنَّمَا هُوَ لِتَحَرِّي رِضَا اللَّهِ عَنْهُ وَقَصْدِ طَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ فَمَنْ نَامَ زَالَ عَنْهُ هَذَا الِانْتِفَاعُ فَكَانَ كَالْمَيِّتِ فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ وَزَوَالِ ذَلِكَ الْمَانِعِ [(١)].

(وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ): أي: وفقني لذلك وأعانني عليه، وقدره ويسره لي فضلا منه ونعمة.

* * * * *

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١١٤).

قال المصنف رحمه الله: [قال تعالى]

٤ - {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)}[١].

نص الحديث كاملا: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً، ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى

---

(١) [آل عمران: ١٩٠ – ٢٠٠]

السَّمَاءِ، فَقَالَ: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ}**، ثُمَّ «قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنَّ [١] فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً»، ثُمَّ أَذَّنَ بِلاَلٌ، «فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ» [٢].

رواية أخرى: وعَنْ كُرَيْبٍ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ خَالَتُهُ فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الوِسَادَةِ " وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، **ثُمَّ قَرَأَ العَشْرَ الآيَاتِ الخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ**، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى عَلَى رَأْسِي، وَأَخَذَ بِأُذُنِي اليُمْنَى يَفْتِلُهَا [٣]، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى أَتَاهُ المُؤَذِّنُ، فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ "[٤].

قوله: (**ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ**) هي: القِرْبَةُ [القديمة]، والإداوة الخَلَق، ويقال لكلٍّ واحدٍ منهما: شَنٌّ، وشِنَانٌ وهو الجمع" [٥].

---

(١) أي: دلّك أسنانه بالسواك.

(٢) صحيح البخاري (٦/ ٤١) برقم ٤٥٦٩.

(٣) "وهذا يدلُّ على أن يسير العمل في الصّلاة لا يمنع صحّتها" المسالك في شرح موطأ مالك (٢/ ٥٠٢).

(٤) صحيح البخاري (١/ ٤٧) ١٨٣.

(٥) المسالك في شرح موطأ مالك (٢/ ٥٠٠).

قوله: (**فأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمنَى يَفْتِلُهَا**) قال النووي: (قِيلَ إِنَّمَا فَتَلَهَا تَنْبِيهًا لَهُ مِنَ النُّعَاسِ وَقِيلَ لِيَتَنَبَّهَ لِهَيْئَةِ الصَّلَاةِ وَمَوْقِفِ الْمَأْمُومِ وَغَيْرِ ذَلِكَ [(١)] وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ لِقَوْلِهِ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى "فَجَعَلْتُ إِذَا أَغْفَيْتُ يَأْخُذُ بِشَحْمَةِ أُذُنِي") [(٢)].

قال ابن رجب: " فتبين بهذه الرواية: أن أخذ النبي – صلى الله عليه وسلم – بأذن ابن عباس في الصلاة إنما كان عند نعاسه، إيقاظا له [(٣)].

شرح الآيات:

{**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**} إن في إيجاد السماوات والأرض من عَدَم على غير مثال سابق.

{**وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**} وفي تعاقب الليل والنَّهار، وتفاوتهما طولًا وقِصَرًا؛

{**لَآيَاتٍ**} لدلائلَ واضحة {**لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)**} لأصحاب العقول السليمة، تدلهم على خالق الكون المستحق للعبادة وحده.

وهم {**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**} على كل أحوالهم، في حال قيامهم، وحال جلوسهم، وفي حال اضطجاعهم

{**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**} ويُعْمِلون فكرَهم في خلق السماوات والأرض؛

قائلين: يا {**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ**} ربنا، ما خلقت هذا الخلق العظيم عبثًا،

---

(١) وقيل لينفي النوم عنه لما أعجبه قيامه معه، أو ليتذكر القصة بعد ذَلِكَ؛ لصغر سنه، أو فعل ذلك تأنيسًا له، أو للتنبيه عَلَى الفهم، ويقال: إن المعلم إذا تعاهد فَتْلَ أذُن المعلَّم كان أذكى لفهمه. قَالَ الربيع: ركب الشافعي يومًا، فلصقت بسرجه، وهو عَلَى الدابة، فجعل= = يفتل شحمة أذني، فأعظمت ذَلِكَ منه حتَّى وجدته عن ابن عباس، أنه -صلى الله عليه وسلم- فعل ذَلِكَ به، فعلمت أنه فعله عن أصل. وانظر التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٤/ ٥٩).

(٢) شرح النووي على مسلم (٦/ ٤٦).

(٣) فتح الباري لابن رجب (٩/ ٢٨٦).

تنزَّهت عن العبث {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} فجنِّبنا عذاب النار بتوفيقنا للصالحات وحِفْظِنا من السيئات.

{رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ} فإنك –يا ربنا– من تدخل النار من خلقك فقد أهنته وفضحته، {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢)} وليس للظالمين يوم القيامة من أعوان يمنعون عنهم عذاب الله وعقابه.

{رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا} ربنا إننا سمعنا داعيًا للإيمان – وهو نبيك محمد – صلى الله عليه وسلم – يدعو قائلًا: آمنوا بالله ربكم إلهًا واحدًا، فآمنا بما يدعو إليه، واتبعنا شريعته،

{رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا} فاستر ذنوبنا فلا تفضحنا، {وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا} وتجاوز عن سيئاتنا فلا تؤاخذنا بها، {وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣)} وتوفنا مع الصالحين بتوفيقنا لفعل الخيرات وترك السيئات.

{رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ} ربنا وأعطنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك، من الهداية والنصر في الدنيا،

{وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ} ولا تفضحنا يوم القيامة بدخول النار، {إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)} إنك – يا ربنا – كريم لا تُخْلف وعدك.

{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ} فأجاب ربهم دعاءهم:

{أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ} بأني لا أضيع ثواب أعمالكم قَلَّت أو كثرت،

{مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} سواء كان العامل ذكرًا أو أنثى، فحكم بعضكم من بعض في الملة واحد، لا يُزاد لذَكَرٍ، ولا يُنقص لأنثى،

{فَالَّذِينَ هَاجَرُوا} فالذين هاجروا في سبيل الله،

{وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} وأخرجهم الكفار من ديارهم،

{وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي} وأصابهم الأذى بسبب طاعتهم لربهم،

{وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا} وقاتلوا في سبيل الله وقُتِلُوا لتكون كلمة الله هي العليا،

{لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} لأغفِرن لهم سيئاتهم يوم القيامة، ولأتجاوزن عنها،

{وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} ولأُدخلنهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها،

{ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)} ثوابًا من عند الله، والله عنده الجزاء الحسن الذي لا مثل له.

{لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦)} لا يخدعنك –أيها النبي– تنقُّل الكافرين في البلاد، وتَمَكُّنهم منها، وسعة تجاراتهم وأرزاقهم فتشعر بالهَمِّ والغم من حالهم.

{مَتَاعٌ قَلِيلٌ} فهذه الدنيا متاع قليل لا دوام له،

{ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} ثم بعد ذلك يكون مصيرهم الذي يرجعون إليه يوم القيامة: جهنم،

{وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧)} وبئس الفِراشُ لهم النار.

{لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ} بامتثال أوامره واجتناب نواهيه

{لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا} لهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها، ماكثين فيها أبدًا،

{نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} جزاءً مُعَدًّا لهم من عند الله تعالى،

{وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨)} وما أعده الله للصالحين من عباده خير وأفضل مما يتقلب فيه الكفار من ملذات الدنيا.

{وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ} ليس أهل الكتاب سواء، فإن منهم طائفة يؤمنون بالله

{وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ} وبما أنزل إليكم من الحق والهدى،

{وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ} ويؤمنون بما أنزل إليهم في كتبهم، لا يفرقون بين رسل الله،

{خَاشِعِينَ لِلَّهِ} خاضعين متذللين لله، رغبة فيما عنده،

{لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} لا يستبدلون بآيات الله ثمنًا قليلًا من متاع الدنيا،

{أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} أولئك الموصوفون بهذه الصفات لهم ثوابهم العظيم عند ربهم،

{إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩)} إن الله سريع الحساب على الأعمال سريع الجزاء عليها.

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا} يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، اصبروا على تكاليف الشريعة، وعلى ما يعرض لكم من مصائب الدنيا، {وَصَابِرُوا} وغالبوا الكفار في الصبر فلا يكونوا أشد صبرًا منكم، {وَرَابِطُوا} وأقيموا على الجهاد في سبيل الله، {وَاتَّقُوا اللَّهَ} واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)} لعلكم تنالون مطلوبكم بالسلامة من النار ودخول الجنة [(١)].

* * * * *

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم (١/ ٧٥ : ٧٦) إعداد: مركز تفسير للدراسات القرآنية.

قال المصنف رحمه الله:

٢ - دُعَاءُ لُبْسِ الثَّوْبِ

٥- «الْحَمْدُ للَّهِ الّذِي كَسَانِي هَذَا (الثَّوْبَ) وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ».

نص الحديث: عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ» قَالَ: وَمَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي، وَلَا قُوَّةٍ** غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ» [(١)].

ولفظ الترمذي وابن ماجه: عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي، وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" [(٢)].

- **الثوب الذي يواري سوءة العبد، ويستر عورته، ويكون عونًا للعبد على الطاعة، ويتجمل به من غير رياء ولا سمعة؛ = نعمة عظيمة، ومنة كبيرة من الله جل وعلا، امتن الله بها على عباده فقال:**

{يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ

(١) سنن أبي داود (٤/ ٤٢)، وحسنه الألباني دون زيادة "وما تأخر" في الموضعين وانظر صحيح وضعيف سنن أبي داود (ص: ٢، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٥٠٨) برقم ٣٤٥٨ ، سنن ابن ماجه (٢/ ١٠٩٣) رقم ٣٢٨٥، مسند أحمد ط الرسالة (٢٤/ ٣٩٥) برقم ١٥٦٣٢ ، وحسنه الألباني وانظر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٤٧) رقم (١٩٨٩)، وصحيح سنن ابن ماجة (٧/ ٢٨٥، بترقيم الشاملة آليا).

مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ } [(١)].

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى مذكرًا عباده بهذه النعمة: "يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ" [(٢)].

فعندما يلبس الإنسان الثوب؛ عليه أن يتذكر نعمة الله عز وجل عليه ويحمده عليها، ويدعو بهذا الدعاء، فيقول: «الْحَمْدُ لِلَّه»: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له، وهذه اللفظة لا تصلح على هذا الوجه، ولا تنبغي إلا للحميد المجيد.

«الَّذِي كَسَانِي»: أي الذي ألبسني قال الخليل: الكِسْوَةُ والكُسْوةُ: اللباس. كَسَوْته: ألبسته. واكْتَسَى: لبس الكسوة [(٣)].

«هَذَا الثَّوْبَ»: يسميه باسمه، فإن كان قميصًا قال: الحمد لله الذي كساني هذا القميص، وهكذا، لحديث أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ، عِمَامَةً، أَوْ قَمِيصًا، أَوْ رِدَاءً....الحديث"[(٤)]. وسيأتي.

«وَرَزَقَنِيهِ» أنعم به عليَّ، لأنه هو المتكفل بالرزق لجميع خلقه. وهذا "استسلام من العبد لِتَبَرُّئِه من الحول والقوة، وأن سعي العبد في طلب الرزق لا يجلب شيئًا إلا بمشيئة اللَّه تعالى وقدرته ونعمته"[(٥)].

ولهذا قال: «مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ» أَيْ مِنْ غَيْرِ حَرَكَةٍ وَحِيلَةٍ مِنِّي [(٦)].

---

(١) [الأعراف: ٢٦].

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٤) ٢٥٧٧.

(٣) العين (٥/ ٣٩١) مادة كسو

(٤) سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٢٣٩).

(٥) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٦/ ١٨٨).

(٦) تحفة الأحوذي (٩/ ٢٩٩).

قال بدر الدين العيني: "والحول: الْحَرَكَة أَي: لَا حَرَكَة وَلَا استطاعة إِلَّا بِمَشِيئَة الله تَعَالَى، قَالَه ثَعْلَب وَغَيره. وَقَالَ بَعضهم: لَا حول فِي دفع شَرّ، وَلَا قُوَّة فِي تَحْصِيل خير، إِلَّا بِاللَّه. وَقيل: لَا حول عَن مَعْصِيّة الله إِلَّا بعصمته، وَلَا قُوَّة على طَاعَته إِلَّا بمعونته. وَحكي هَذَا عَن ابْن مَسْعُود [(١)].

«غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ» المراد بذلك الصغائر لأن الكبائر تحتاج إلى توبة خاصة، لحديث «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ» [(٢)].

قال النووي: "المعروف عند الفقهاء أن هذا مختص بغفران الصغائر دون الكبائر قال بعضهم ويجوز أن يخفف من الكبائر ما لم يصادف صغيرة" [(٣)].

قال شهاب الدين بن رسلان: المراد به صغائر الذنوب، فإن لم يكن فيرجى أن يخفف من الكبائر [(٤)].

* * * * *

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٥/ ١٢١).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٢٠٩) رقم ٢٣٣.

(٣) شرح النووي على مسلم (٦/ ٤٠).

(٤) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٦/ ١٨٨).

قال المصنف رحمه الله:

٣ - دُعَاءُ لُبْسِ الثَّوْبِ الجَدِيدِ

٦- «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ».

نصُّ الحديث كاملا:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ إِمَّا قَمِيصًا، أَوْ عِمَامَةً ثُمَّ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ**» قَالَ أَبُو نَضْرَةَ: " فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلم إِذَا لَبِسَ أَحَدُهُمْ ثَوْبًا جَدِيدًا قِيلَ لَهُ: تُبْلِي وَيُخْلِفُ اللَّهُ تَعَالَى " (١).

"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا اسْتَجَدَّ" أي: أحدث أو لبس "ثَوْبًا" جديدًا "سَمَّاهُ" أي الثَّوْب "بِاسْمِهِ إمَّا قميصًا" [أَي سَوَاء كَانَ قَمِيصًا]، أو رداءً "أَوْ عِمَامَةً" أو قلنسوة، أو سراويل، أو نعلًا، أو بساطًا يجلس عليه، أو منديلًا، أو مخدة، ونحو ذلك، [بِأَن يَقُول رَزَقَنِي الله هَذِه الْعِمَامَة]. والبداءة باسم الثوب قبل حمد اللَّه تعالى أبلغ في تذكر النعمة وإظهارها، فإن فيه ذكر الثوب مرتين، فمرة ذكر ظاهرًا، ومرة ذكر مضمرًا (٢).

"ثُمَّ يَقُولُ" «اللَّهُمَّ»: بمعنى: يا الله.

---

(١) سنن أبي داود واللفظ له (٤/ ٤١) برقم ٤٠٢٠، وسنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٢٣٩) برقم ١٧٦٧، مسند أحمد ط الرسالة (١٧/ ٣٤٨) برقم ١١٢٤٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٨٥٣) ٤٦٦٤.

(٢) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٦/ ١٨٣)، التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٢٣٨) بتصرف يسير.

قال الأزهري: "قَالَ الْخَلِيل وسيبويه وَجَمِيع النحويّين الموثوق بعلمهم: اللهمَّ بِمَعْنى يَا أللهُ، وَأَن الْمِيم المشدّدة عِوَض من (يَا) لأَنهم لم يَجدوا (يَا) مَعَ هَذِه الْمِيم فِي كلمةٍ، ووجَدُوا اسمَ الله مستعَملاً بـــ(يَا) إِذا لم تُذكر الْمِيم فِي آخر الْكَلِمَة، فعَلموا أَن الْمِيم فِي آخر الْكَلِمَة بِمَنْزِلَة (يَا) فِي أوّلها...." [١].

وقال ابن القيم: "لا خلاف أن لفظة اللهم معناها يا الله ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب فلا يقال اللهم غفور رحيم بل يقال اللهم اغفر لي وارحمني" [٢].

«لَكَ الْحَمْدُ» الحمد: ذكر محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه وإجلاله" [٣].

"أَنْتَ" الذي "كَسَوْتَنِيه" قال الطيبي: الضمير راجع إلى المسمى [٤] أي أنت يا ربي الذي كسوتني هذا الملبوس الجديد، فلك كل حمدي وشكري. وهذا "إخبار اعتراف وشكر للنعمة" [٥].

"أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ" أي: استعماله في طاعة اللَّه تعالى وعبادته؛ ليكون عونًا له عليها [٦].

"وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ" وهو استعماله في معصية الله ومخالفة أمره، وهو الفخر والخيلاء" [٧]. "أَي: وفقني على الْخَيْر الَّذِي صنع لَهُ ووفقني لَهُ من الشُّكْر بالأركان وَالْحَمْد بِاللِّسَانِ وَأَعُوذ بك من الكفران [٨].

---

(١) تهذيب اللغة (٦/ ٢٢٥).

(٢) جلاء الأفهام (ص: ١٤٣).

(٣) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد لابن جبرين (ص: ٢٩).

(٤) فيض القدير (٥/ ٩٨).

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني (٨/ ٣٢٧).

(٦) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٦/ ١٨٣).

(٧) بذل المجهود في حل سنن أبي داود (١٢/ ٥١).

(٨) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٢٣٨).

خير الثوب وشر الثوب:

"خَيْرُ الثَّوْبِ بَقَاؤُهُ وَنَقَاؤُهُ، وَكَوْنُهُ مَلْبُوسًا لِلضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ، وَخَيْرُ مَا صُنِعَ لَهُ: هُوَ الضَّرُورَاتُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يصنع اللباس من الحر والبرد وَسَتْرِ الْعَوْرَةِ، وَالْمُرَادُ: سُؤَالُ الْخَيْرِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ، وَأَنْ يَكُون مُبَلِّغًا إِلَى الْمَطْلُوبِ الَّذِي صُنِعَ لِأَجْلِهِ الثَّوْبُ مِنَ الْعَوْنِ عَلَى الْعِبَادَةِ والطاعة لموليه،

وَفِي الشَّرِّ عَكْسُ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ وَهُوَ كَوْنُهُ: حَرَامًا، وَنَجَسًا، وَلَا يَبْقَى زَمَانًا طَوِيلًا، أَوْ يَكُونُ سَبَبًا لِلْمَعَاصِي وَالشُّرُورِ، وَالِافْتِخَارِ وَالْعُجْبِ وَالْغُرُورِ، وعدم الْقَنَاعَةِ بِثَوْبِ الدُّونِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ انْتَهَى[1].

* * * * *

(١) تحفة الأحوذي (٥/ ٣٧٦).

قال المصنف رحمه الله:

٤ - الدُّعَاءُ لِمَنْ لَبِسَ ثَوْباً جَدِيداً

٧- «تُبْلِي وَيُخْلِفُ اللَّهُ تَعَالَى».

نص الحديث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ إِمَّا قَمِيصًا، أَوْ عِمَامَةً ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ»

قَالَ أَبُو نَضْرَةَ: "فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلم إِذَا لَبِسَ أَحَدُهُمْ ثَوْبًا جَدِيدًا قِيلَ لَهُ: **تُبْلِي وَيُخْلِفُ اللَّهُ تَعَالَى**" [١].

«**قِيلَ لَهُ**» أي: يقول له من يراه.

«**تُبْلِي**» مِنَ الْإِبْلَاءِ بِمَعْنَى الْإِخْلَاقِ وَهَذَا دُعَاءٌ لِلَّابِسِ بِأَنْ يُعَمِّرَ وَيَلْبَسَ ذَلِكَ الثَّوْبَ حَتَّى يَبْلَى وَيَصِيرَ خَلِقًا [٢].والمقصود الدعاء بطول الحياة [٣].

«**وَيُخْلِفُ اللَّهُ تَعَالَى**»: أي: يبدلك الله عزَّ وجلَّ خيرًا منه وُيعَوِّضُك عنه [٤].

أي: لا تزال متمتعًا بالعمر والصحة والعافية في هذا الثوب حتى يبلى، ثم يعوضك الله عز وجل عنه إذا بلي بغيره، فهو متضمن للدعوة له أن يعيش حياة حميدة طيبة، لأن الثوب إنما يبلى بعد مدة طويلة من الزمن.

---

(١) سنن أبي داود واللفظ له (٤/ ٤١) برقم ٤٠٢٠، وسنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٢٣٩) برقم ١٧٦٧، مسند أحمد ط الرسالة (١٧/ ٣٤٨) برقم ١١٢٤٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٨٥٣) ٤٦٦٤.

(٢) عون المعبود وحاشية ابن القيم (١١/ ٤٤).

(٣) فتح الودود في شرح سنن أبي داود (٤/ ٨٧).

(٤) بذل المجهود في حل سنن أبي داود (١٢/ ٥١).

قال ابن الأثير "يُقَالُ خَلَفَ اللَّهُ لَكَ خَلَفاً بِخَيْرٍ، وأَخْلَفَ عَلَيْكَ خَيْرًا: أَيْ أبْدَلك بِمَا ذَهَب مِنْكَ وعَوَّضَك عَنْهُ. وَقِيلَ إِذَا ذَهب للرَّجل مَا يَخْلُفُهُ مِثْلَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ قِيلَ أَخْلَفَ اللَّهُ لَكَ وعَلَيْك، وَإِذَا ذَهَبَ لَهُ مَا لَا يَخْلُفُهُ غَالِبًا كَالْأَبِ وَالْأُمِّ قِيلَ خَلَفَ اللَّهُ عَلَيْكَ. وَقَدْ يُقَالُ خَلَفَ اللَّهُ عَلَيْكَ إِذَا مَاتَ لَكَ ميِّت: أَيْ كَانَ اللَّهُ خَلِيفَةً عَلَيْكَ. وأَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْك: أَيْ أبْدَلك" [١].

* * * * *

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٦٦).

قال المصنف رحمه الله:

٨- «الْبَسْ جَدِيداً وَعِشْ حَمِيداً وَمُتْ شَهِيداً».

نص الحديث: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَأَى عَلَى عُمَرَ قَمِيصًا أَبْيَضَ فَقَالَ: «ثَوْبُكَ هَذَا غَسِيلٌ أَمْ جَدِيدٌ؟» قَالَ: لَا، بَلْ غَسِيلٌ. قَالَ: «**الْبَسْ جَدِيدًا، وَعِشْ حَمِيدًا، وَمُتْ شَهِيدًا**»[١].

«الْبَسْ جَدِيداً» صيغة أمر أريد به الدعاء بأن يرزقه الله الجديد [٢].

«وَعِشْ حَمِيدًا» صيغة أمر أُريد بها الدعاء؛ بأن تطل حياته على طاعة الله تعالى فيكون حامدًا لربه على نعمه، ومحمودًا عند ربه بتقواه، وعند الناس بالإحسان إليهم.

«وَمُتْ شَهِيدًا» كذلك صيغة أمر أُريد بها الدعاء؛ بأن يرزقه الله تعالى المِيْتةَ الحسنة، وأحسنها الشهادة في سبيل الله. فاستجاب الله له دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، فقتل شهيدًا في المسجد النبوي.

* * * * *

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ١١٧٨) برقم ٣٥٥٨ ، عمل اليوم والليلة لابن السني (ص: ٢٣٦)، والبغوي في شرح السنة (١٢/ ٤١)، وصححه الألباني وانظر صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (٨/ ٥٨، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢/ ٣٦٨).

قال المصنف رحمه الله:

٥ - مَا يَقُولُ إِذَا وَضَعَ ثَوْبَهُ

٩ - «بِسْمِ اللَّهِ».

نص الحديث كاملًا:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سِتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ، وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا وَضَعُوا ثِيَابَهُمْ أَنْ يَقُولُوا: **بِسْمِ اللَّهِ**» [١].

«سِتْرُ» أي: حجاب

«مَا بَيْنَ أَعْيُنُ الْجِنِّ، وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ» يعني المانع والحجاب الذي يحصل به، عدم قدرتهم على النظر إلى العورات.

«إِذَا وَضَعُوا ثِيَابَهُمْ» أي: إذا نزعوا ثيابهم لنحو نوم أو اغتسال أو قضاء حاجة.

«أَنْ يَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ»: أي: أبتدئ بكل اسم لله تعالى، لأن لفظ {اسم} مفرد مضاف، فيعم جميع أسماء الله الحسنى؛ فيكون العبد مستعينًا بربه، وبكل اسم من أسمائه على ما يناسبه من المطالب .....

{الله} هو المألوه المستحق لإفراده بالمحبة والخوف والرجاء وأنواع العبادة كلها، لما اتصف به من صفات الكمال، وهي التي تدعو الخلق إلى عبادته والتأله له [٢].

---

(١) المعجم الأوسط (٣/ ٦٨) برقم ٢٥٠٤، وعمل اليوم والليلة لابن السني (ص: ٢٤١)، والعظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٥/ ١٦٧٠)، فوائد تمام (٢/ ٢٦٨) برقم ١٧٠٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٦٧٥) برقم ٣٦١٠.

(٢) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن للسعدي (١/ ٩).

قال المناوي: ظاهره أنه لا يزيد (الرحمن الرحيم) قال الحكيم: وإنما يمتنع المؤمن من هذا العدو بإسبال هذا الستر، فينبغي عدم الغفلة عنه، فإن للجن اختلاطًا بالآدميين ومنهم من يتزوج منهم، فالإنس يشركون الجن في نسائهم، والجن يشركون الإنس في نسائهم، فإذا أحب الآدمي أن يطرد الجن عن مشاركته = فليقل بسم الله، فإن اسم الله طابع على جميع ما رزق ابن آدم، فلا يستطيع الجن فك الطابع (١).

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) فيض القدير (٤/ ٩٧).

قال المصنف رحمه الله:

٦ - دُعَاءُ دُخُولِ الْخَلاءِ

١٠- (([بِسْمِ اللَّهِ] اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ)).

نص الحديث: عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " سِتْرُ مَا بَيْنَ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ الْكَنِيفَ أَنْ يَقُولَ: **بِسْمِ اللَّهِ** "(١).
وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الخَلاَءَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ**» (٢).
ورواه ابن أبي شيبة عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ، قَالَ: «**بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ، وَالْخَبَائِثِ**» (٣).

"**سِتْرُ**" حجاب
"**مَا بَيْنَ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ**" يَعْنِي الشَّيْءَ الَّذِي يحصل بِهِ عدم قدرهم على النّظر إِلَيْهَا (٤).
"**إِذَا دَخَلَ**" قال النووي "مَعْنَاهُ إِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ وَكَذَا جَاءَ مُصَرِّحًا بِهِ فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ قَالَ: (كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ)" (٥).

---

(١) سنن ابن ماجه واللفظ له (١/ ١٠٩) برقم ٢٩٧، سنن الترمذي ت شاكر (٢/ ٥٠٤) ٦٠٦ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٦٧٥) ٣٦١١.
(٢) صحيح البخاري (٨/ ٧١).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١/ ١١) رقم ٥، (٦/ ١١٤) برقم ٢٩٩٠٢، و الدعاء للطبراني (ص: ١٣٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٨٦٠) ٤٧١٤.
(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٥٦).
(٥) شرح النووي على مسلم (٤/ ٧١).

قال الشنقيطي: وأماكن الخلاء تنقسم إلى قسمين :
القسم الأول : أن تكون مُعَدَّةً لقضاء الحاجة ، كدورات المياه في زماننا فهذا النوع من مواضع قضاء الحاجة يُشرَع أن يقول الإنسانُ الذِّكر قبل أن يدخُل فيه .
وأمَّا إذا كان من القسم الثاني : وهو أن يكون الموضعُ غير مُعَدٍّ لقضاء الحاجة كالصحراء والعراء والخلاء الذى ليس فيه موضعٌ معيَّنٌ لقضاء الحاجة فهل يقول الإنسان هذا الذكر بمجُردِّ ذهابه إلى موضع قضاء الحاجة..؟؟ أو يقوله عند وقوفه في المكان الذى يُريد قضاء الحاجة..؟؟ أو يقوله بعد رفعه للثياب قبل أن يُخرِج حاجته..؟؟
ثلاثةُ أَوجُه للعلماء –رحمهم الله– أقواها أن يقول هذا الذكر، عند وقوفه على المكان الذى يريدُ أن يقضي حاجته فيه" [١].

(**إِذَا دَخَلَ الْكَنِيفَ**) و (**إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ**)
(**الْكَنِيف**) بفتح الكاف، وكسر النون، محل قضاء الحاجة [وهو بمعنى الخلاء] سُمِّي به لما فيه من الستر إذ معنى "الكنيف": الساتر [٢]. لأنه يَكْنُف من دخله ويستره [٣].

(**الْخَلَاء**) بالفتح، والمد : "المحل الذي يتخلى فيه لقضاء الحاجة، ويقال: الكنيف، والْحُش، والْبَرَاز بفتح الموحدة، والغائط، والمذهب، والمرفق، والمرحاض،
سُمِّيَ "خلاء": لخلائه في غير أوقات قضاء الحاجة، أو لأن داخله يخلو فيه بنفسه أو لأن الشيطان الموكل به اسمه خلاء" [٤]. [أو لأنه] المكان [الخالي] الذي ليس به أحد [٥].

«**أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ**»: أي: أبتدئ بكل اسم لله تعالى.
يعني: إذا دخل الإنسان الخَلاءَ، وكشفَ عورتَه نظرَ إليه الجِنُّ والشياطين، وربما يؤذيه،

(١) شرح سنن الترمذي - الشنقيطي (١/ ١٩١).
(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (٨/ ٣٨٢).
(٣) كشف اللثام شرح عمدة الأحكام (١/ ١٧٧).
(٤) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني (٨/ ٣٨٠).
(٥) قوت المغتذي على جامع الترمذي (١/ ٣٨).

ويَلْحَقُه ضررٌ، هذا إذا لم يقل: (بسم الله) عند دخول الخلاء، فأما إذا قال: (بسم الله) جعلَ الله بينه وبين أعينِ الجِنِّ والشياطينِ حجابًا، حتى لم يرَه ببركة (بسم الله) [(١)].

قَالَ الْمُنَاوِيُّ وَذَلِكَ لِأَنَّ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى كَالطَّابَعِ عَلَى بَنِي آدَمَ فَلَا يَسْتَطِيعُ الْجِنُّ فَكَّهُ، وَقَالَ قَالَ بَعْضُ أَئِمَّتِنَا الشَّافِعِيَّةِ وَلَا يَزِيدُ (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) لِأَنَّ الْمَحَلَّ لَيْسَ مَحَلَّ ذِكْرٍ، وَوُقُوفًا مَعَ ظَاهِرِ هَذَا الْخَبَرِ انْتَهَى [(٢)].

"قالوا: ويتأكد للنساء عند دخول الخلاء وفي كل خلاء فإن الجن يشركون الإنس فيهن فيتعين طردهم بالمحافظة على التسمية" [(٣)].

وهذا من المواضع الّتي تتقدّم فيها البسملة على الاستعاذة [(٤)].

«**اللَّهُمَّ**»: بمعنى: يا الله.

«**إِنِّي أَعُوذُ بِكَ**» أي: ألجأ وأستجير وأتحصن بالله وحده.

«**مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ**» قال ابن مفلح: (**الْخُبْثِ**) بإسكان الباء قاله أبو عبيد، ونقل القاضي عياض: أنه أكثر روايات الشيوخ، وفسره: بالشر،

والخبائث: بالشياطين، فكأنه استعاذ من الشر وأهله،

قال الخطابي: هو بضم الباء [**الخُبُث**]، وهو جمع خبيث، والخبائث جمع خبيثة، فكأنه استعاذ من ذكرانهم وإناثهم، وقيل: الخبث: الكفر، والخبائث: الشياطين [(٥)].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) المفاتيح في شرح المصابيح (١/ ٣٨٥).

(٢) تحفة الأحوذي (٣/ ١٨٤)

(٣) فيض القدير (٤/ ٩٦).

(٤) النكت العلمية على الروضة الندية (ص: ٥٧).

(٥) المبدع في شرح المقنع لابن مفلح (١/ ٥٧).

قال المصنف رحمه الله:

٧ – دُعَاءُ الْخُرُوجِ مِنَ الْخَلاَءِ

١١ – ((**غُفْرَانَكَ**)).

نص الحديث: عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الغَائِطِ قَالَ: «**غُفْرَانَكَ**» [(١)].

قَوْلُهُ: «**غُفْرَانَكَ**» أَيْ: أَسْأَلُكَ غُفْرَانَكَ [الذي يترتب عليه ستر الذنب، والتجاوز عنه]، أَوِ اغْفِرْ غُفْرَانَكَ أَيِ الْغُفْرَانَ اللَّائِقَ بِجَنَابِكَ أَوِ النَّاشِيءَ مِنْ فَضْلِكَ بِلَا اسْتِحْقَاقٍ مِنِّي لَهُ [(٢)].

وما سبب الاستغفار في هذا الموطن؟

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وقيل في تأويل ذلك وفي تعقيبه الخروج من الخلاء بهذا الدعاء قولان:

أحدهما: أنه قد استغفر من تركه ذكر الله تعالى مدة لبثه على الخلاء، وكان –صلى الله عليه وسلم– لا يهجر ذكر الله إلاّ عند الحاجة، فكأنه رأى هجران الذكر في تلك الحالة تقصيرًا، وعدَّهُ على نفسه ذنبًا، فتداركه بالاستغفار.

---

(١) سنن أبي داود (١/ ٨) برقم ٣٠ واللفظ له، وسنن الترمذي ت شاكر ولفظه إذا خرج من الخلاء (١/ ١٢) رقم ٧، وسنن ابن ماجه (١/ ١١٠) رقم ٣٠٠، وصححه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١/ ٩١) (٥٢).

(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١/ ١٢٨).

وقيل معناه التوبة: من تقصيره في شكر النعمة، التي أنعم الله تعالى بها عليه، فأطعمه، ثم هضمه، ثم سهل خروج الأذى منه، فرأى شكره قاصرًا عن بلوغ حق هذه النعم، ففزع إلى الاستغفار منه والله أعلم [(١)].

قولها "خَرَجَ مِنَ الغَائِطِ" أَيْ: الْمَوْضِعِ الَّذِي يَتَغَوَّطُ فِيهِ: قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَصْلُ الْغَائِطِ الْمَكَانُ الْمُطْمَئِنُّ [(٢)]، كَانُوا يَأْتُونَهُ لِلْحَاجَةِ، فَكَنَوْا بِهِ عَنْ نَفْسِ الْحَدَثِ كَرَاهَةً لِاسْمِهِ، وَمِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ التَّعَفُّفُ فِي أَلْفَاظِهَا، وَاسْتِعْمَالُ الْكِنَايَاتِ فِي كَلَامِهَا، وَصَوْنُ الْأَلْسُنِ مِمَّا تُصَانُ الْأَبْصَارُ وَالْأَسْمَاعُ عَنْهُ [(٣)].

*** * * * ***

(١) معالم السنن (١/ ٢٢: ٢٣).

(٢) [أي: الموضع المنخفض من الأرض].

(٣) المجموع للنووي شرح المهذب (٢/ ٧٦).

قال المصنف رحمه الله:

٨ – الذِّكْرُ قَبْلَ الْوُضُوءِ

١٢ – ((بِسْمِ اللَّهِ)).

نص الحديث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ» [1].

«يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ» أي يقول "بسم الله" والمعنى "بسم الله أتوضأ مستعينًا ومتبركًا بذكره سبحانه وتعالى راجيًا القبول والسداد".

«لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ» وهذا الحديث ورد على وجوه متعددة ولا يسلم شيء منها من مقال، حتى قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: لَا أَعْلَمُ فِي هَذَا الْبَابِ حَدِيثًا لَهُ إِسْنَادٌ جَيِّدٌ [2]**، لذلك؛**

- **"اختلف العلماء في حكم التسمية في الوضوء:**

فقيل: سنة، وهو مذهب الحنفية، والمالكية في المشهور عندهم، والشافعية، ورواية عن أحمد.

وقيل: مكروهة، وهو قولٌ في مذهب مالك، فجعلوا الوضوء من العبادات التي لا يشرع لها التسمية، كالدخول في الصلاة، والشروع في الأذان، وابتداء الطواف، ونحو ذلك.

وقيل: شرط لصحة الوضوء، وهو مذهب بعض أهل الظاهر.

---

(١) سنن ابن ماجه(١/ ١٣٩) رقم ٣٩٧ ، ومسند أحمد مخرجا (١٧/ ٤٦٤) ، و سنن الدارمي (١/ ٥٤٢) رقم ٧١٨ ، وروي هذا الحديث من وجوهٍ في كل منها نظر، منها الضعيف ومنها الضعيف جدًا وبعضهم يحسنه بالمتابعات وبمجموع الطرق، قال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٩٩) "وَلَا شكّ أن الْأَحَادِيث الَّتِي وَردت فِيهَا وَإِن كَانَ لَا يسلم شَيْء مِنْهَا عَن مقَال فَإِنَّهَا تتعاضد بِكَثْرَة طرقها وتكتسب قُوَّة وَالله أعلم" وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (١/ ٤٦٩، بترقيم الشاملة آليا) برقم ٣٩٧.

(٢) سنن الترمذي ت شاكر (١/ ٣٨).

وقيل: واجبة، وتسقط مع النسيان، وهو المشهور عند متأخري الحنابلة.

واستدلوا لوجوبها بما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ» (١) .

وأُجيبَ عن هذا الإيجاب بأجوبةٍ؛ منها:

الأول: قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ} (٢) ... الآية، ووجه الاستدلال: أن الآية لم تذكر التسمية.

"وقال ابن حجر عن هذا الحديث "لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه" قال: "يعارض هذا الخبر خبر المسيء صلاته: "إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَتَوَضَّأْ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ....الحديث (٣) " فلم يذكر التسمية، وخبر أبي داود وغيره "أنه لم يرد السلام على من سلم عليه وهو يتوضأ فلما فرغ قال: لم يمنعني إلا أني كنت على غير وضوء (٤) ". فإذا امتنع من ذكر الله قبل الوضوء فكيف يوجب التسمية حينئذ وهي من ذكر الله [وفيها من التصريح بذلك ما ليس في السلام] " (٥) اهـ.

الثاني: أن الحديث ضعيفٌ، قال ابن الملقن: "وقد طعن فيه الحفاظ، واستدركوا عَلَى الحاكم تصحيحه بأنه انقلب عليه إسناده واشتبه" (٦) .

وقال أحمد بن حفص السعدي: «سئل أحمد بن حنبل – يعني: وهو حاضر – عن التسمية

(١) سنن أبي داود (١/ ٢٥) برقم ١٠١ ، سنن ابن ماجه (١/ ١٤٠) برقم ٣٩٩، ومسند أحمد ط الرسالة (١٥/ ٢٤٣) برقم ٩٤١٨، وقال الألباني حسن لغيره، وانظر صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٤٨) برقم ٢٠٣.

(٢) [المائدة: ٦].

(٣) سنن الترمذي ت شاكر (٢/ ١٠٢) برقم ٣٠٢.

(٤) مسند أحمد ط الرسالة (٣١/ ٣٨١) برقم ١٩٠٣٤.

(٥) فيض القدير (٦/ ٤٣٠).

(٦) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٤/ ٨١).

في الوضوء؟ فقال: لا أعلم حديثاً يثبت، أقوى شيء فيه حديث كَثِير بْن زَيْدٍ، عَنْ رُبَيْح، وربيح رجل ليس بمعروف» [١] .

واستدل البخاري على مشروعية التسمية عند الوضوء، بحديث ابن عباس عند الجماع:

«لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ باسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرُّهُ» [٢] فقد ذكره في كتاب الوضوء، وترجم عليه: "بَابُ التَّسْمِيَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَعِنْدَ الوِقَاعِ" واستغنى عن حديث: "لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه"؛ ولا يستدل بالتلميح إلا لضعف أدلة التصريح عنده.

فلو كانت التسمية واجبة في الوضوء، ومنزلتها من الوضوء كمنزلة الوضوء من الصلاة، لجاءت الأحاديث الصحيحة الصريحة التي تقوم بها الحجة على الخلق، ولم ينفرد بهذه الأحاديث الرواة المتكلم فيهم، وفيهم المجروح جرحًا شديدًا، {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ} [٣].

الثالث: أنه لو صحَّ، فهو مُقَدَّر بنفي الكمال أي: لا وضوء كاملًا كقوله في الحديث الآخر: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» [٤] : أي لا يؤمن الإيمان الكامل، فالنفي دال على استحباب التسمية في الوضوء، لا على وجوبها.

وجاء في حديث لكنه ضعيف: «مَنْ تَوَضَّأَ وَذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ تَطَهَّرَ جَسَدُهُ كُلُّهُ ، وَمَنْ تَوَضَّأَ وَلَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ لَمْ يَتَطَهَّرْ إِلَّا مَوْضِعُ الْوُضُوءِ» [٥]، رواه الدارقطني والبيهقي وضعفه من جميع طرقه.

(١) الكامل في ضعفاء الرجال (٤/ ١١٠).
(٢) صحيح البخاري (١/ ٤٠) ١٤١.
(٣) [التوبة: ١١٥].
(٤) صحيح البخاري (١/ ١٢).
(٥) سنن الدارقطني (١/ ١٢٥) ٢٣٢، السنن الكبرى للبيهقي (١/ ٧٣) ١٩٩.

الرابع: أن المراد بالذكر فيه: النية أي: لا وضوء صحيح لمن لم ينو فيه. وبإسناد أبي داود صاحب السنن قال: وَذَكَرَ رَبِيعَةُ، أَنَّ تَفْسِيرَ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ» أَنَّهُ الَّذِي يَتَوَضَّأُ وَيَغْتَسِلُ، وَلَا يَنْوِي وُضُوءًا لِلصَّلَاةِ، وَلَا غُسْلًا لِلْجَنَابَةِ [(١)]. فإن من توضأ أو اغتسل ونوى رفع الحدث للطاعة فقد تذكر اسم الله تعالى فالمراد بذكر اسم الله على الوضوء عنده، الذكر القلبي لا اللساني، ولذا حمله على النية [(٢)] .

الخامس: يؤيد عدم إيجاب التسمية أن الأحاديث الصحيحة التي سيقت لنا في وصف وضوء النبي – صلى الله عليه وسلم – من حديث عثمان رضي الله عنه في الصحيحين [(٣)] ، وحديث عبد الله ابن زيد فيهما [(٤)] ، وحديث ابن عباس في البخاري [(٥)] ، وغيرهم كثير لم تذكر لنا التسمية، وهي إنما سيقت في بيان صفة الوضوء الشرعي الصحيح. فلو كان الوضوء لا يصح إلا بالتسمية لوجب بيانها؛ لأن تركها حينئذ سوف يخل بصحة الوضوء، فلا يصدق عليه أن هذا وضوء رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فكيف تكون التسمية واجبة كوجوب الوضوء للصلاة؟!

ولا يليق بصحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهم ينقلون لنا صفة وضوء النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يهملوا التسمية، وهي واجبة كوجوب الوضوء للصلاة" [(٦)] .

- ومما سبق يتبين أن القول بوجوب التسمية في الوضوء هو قول ضعيف، وأضعف منه القول بأن التسمية شرط لصحة الوضوء.

* * * * *

(١) سنن أبي داود (١/ ٢٥)، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود صحيح مقطوع.

(٢) المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود (١/ ٣٢٤).

(٣) صحيح البخاري (١/ ٤٣) رقم ١٥٩، صحيح مسلم (١/ ٢٠٤) رقم ٢٢٦.

(٤) صحيح البخاري (١/ ٤٨) برقم ١٨٥، صحيح مسلم (١/ ٢١٠) رقم ٢٣٥.

(٥) صحيح البخاري (١/ ٤٠) برقم ١٤٠.

(٦) انظر موسوعة أحكام الطهارة (٩/ ١٤١) لأبي عمر دُبْيَان بن محمد الدُّبْيَان، والموسوعة الفقهية الكويتية (٨/ ٨٩)، وشرح البخاري للسفيري = = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية (٢/ ٢٩٩)، وصفة وضوء النبي لعبد العزيز الطريفي ص ٦١.

قال المصنف رحمه الله:

٩- الذِّكْرُ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْوُضُوءِ

١٣ - ((أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ..)).

نص الحديث كاملًا: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ فَجَاءَتْ نَوْبَتِي فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» قَالَ فَقُلْتُ: مَا أَجْوَدَ هَذِهِ فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبْلَهَا أَجْوَدُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ قَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنِفًا، قَالَ: " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: **أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ** إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ " [(١)].

وفي لفظ آخر لمسلم أيضًا: «مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ **أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**» [(٢)].

(**كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ فَجَاءَتْ نَوْبَتِي**) يعني: رعاية إبل الصدقة المنتظر بها تفريقها،

(١) صحيح مسلم (١/ ٢٠٩) ٢٣٤.

(٢) صحيح مسلم (١/ ٢١٠) ٢٣٤.

أو الإبل المعدة لمصالح المسلمين [١]. أو المعنى أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَنَاوَبُونَ[٢] رَعْيَ إِبِلِهِمْ فَيَجْتَمِعُ الْجَمَاعَةُ وَيَضُمُّونَ إِبِلَهُمْ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ فيرعاها كلَّ يَوْمٍ وَاحِدٌ مِنْهُمْ لِيَكُونَ أَرْفَقَ بِهِمْ وَيَنْصَرِفَ الباقون في مصالحهم [٣].

"فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ" أَيْ رَدَدْتُهَا إِلَى مُرَاحِها[٤] [مكان المبيت] فِي آخِرِ النَّهَارِ وَتَفَرَّغْتُ مِنْ أَمْرِهَا ثُمَّ جِئْتُ إِلَى مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٥].

"فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" أي وصلت إليه وجئته حالة كونه، "قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ" أي يخبرهم ويعلمهم مصالح دينهم "فَأَدْرَكْتُ" أي سمعت "مِنْ قَوْلِهِ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ" أي ما مسلم يتوضأ "فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ" بفرائضه وآدابه "ثُمَّ يَقُومُ" مستقبل القبلة "فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ" نافلة أو فريضة "مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا" أي: على الركعتين "بِقَلْبِهِ" خاشعًا لله سبحانه وتعالى "وَ" بـــ "وَجْهِهِ" أي بأعضائه وجسده خاضعًا له تعالى متذللًا[٦].

الإقبال بِالْوَجْهِ: ترك الِالْتِفَات وَالنَّظَر إِلَى مَوضِع السُّجُود،

و[الإقبال] بالقلب: قطع الْفِكر فِيمَا سوى الْعِبَادَة [٧].

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (١/ ٤٩٤).

(٢) التناوب أن تفعل الشيء مرة ويفعل الآخر مرة أخرى.] مجمع بحار الأنوار].

(٣) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٢٠).

(٤) والمُرَاح: الموضع الَّذِي يُريحها إِلَيْهِ إذا أمْسَى. وانظر غريب الحديث لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم.

(٥) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٢١).

(٦) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٥/ ٢١٦).

(٧) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ١٥٠).

قال النووي: وَقَدْ جَمَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ أَنْوَاعَ الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ لِأَنَّ الْخُضُوعَ فِي الْأَعْضَاءِ وَالْخُشُوعَ بِالْقَلْبِ عَلَى مَا قَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ [(١)].

(إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ) أي: أن الله تعالى أوجب على نفسه أن يُدخله الجنّة؛ فضلًا منه وكرمًا [(٢)].

«مَا أَجْوَدَ هَذِهِ» يَعْنِي هَذِهِ الْكَلِمَةَ، أَوِ الْفَائِدَةَ، أَوِ الْبِشَارَةَ، أَوِ الْعِبَادَةَ، [وما أحسنها، تعجبًا منها، أي: شيء عظيم جعلها جيدة] وَجَوْدَتُهَا مِنْ جِهَاتٍ، مِنْهَا: أَنَّهَا سَهْلَةٌ مُتَيَسِّرَةٌ يَقْدِرُ عَلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ بِلَا مَشَقَّةٍ، وَمِنْهَا أَنَّ أَجْرَهَا عَظِيمٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ [(٣)].

«جِئْتَ آنِفًا» أَيْ قَرِيبًا [(٤)].

«فَيُبْلِغُ – أَوْ فَيُسْبِغُ – الْوَضُوءَ» هُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ، أَيْ: يُتِمُّهُ وَيُكْمِلُهُ فَيُوَصِّلُهُ مَوَاضِعَهُ عَلَى الْوَجْهِ الْمَسْنُونِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ [(٥)].

«أَشْهَدُ» أي: أقر وأعترف قولًا باللسان، واعتقادًا بالجنان، وعملًا بالجوارح والأركان.

قال الهرَّاس: ((الشَّهَادَةُ)) : الْإِخْبَارُ بِالشَّيْءِ عَنْ عِلْمٍ بِهِ، وَاعْتِقَادٍ لِصِحَّتِهِ وَثُبُوتِهِ، وَلَا تُعْتَبَرُ الشَّهَادَةُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَصْحُوبَةً بِالْإِقْرَارِ وَالْإِذْعَانِ، وَوَاطَأَ القلبُ عَلَيْهَا اللِّسَانَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَذَّبَ الْمُنَافِقِينَ[(٦)] فِي قَوْلِهِمْ: {نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ}، مَعَ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ [(٧)].

---

(١) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٢١).

(٢) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٦/ ١٩٢).

(٣) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٢١)، وما بين المعقوفتين من الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٥/ ٢١٦).

(٤) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٢١).

(٥) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٢١).

(٦) قال تعالى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} [المنافقون: ١].

(٧) شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ٥٥).

«أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» لا معبود بحق إلا الله. إذًا "معنى شهادة أن لا إله إلا الله: الاعتقاد والإقرار أنه لا يستحقُّ العبادةَ إلا الله، والتزام ذلك والعمل به، (فلا إله) نفي لاستحقاق من سوى الله للعبادة كائنًا من كان (إلا الله) إثباتٌ لاستحقاق الله وحده للعبادة" [١].

«وَحْدَهُ» تأكيد للإثبات. «لَا شَرِيكَ لَهُ» تأكيد للنفي.

قال ابن حجر: تأكيد بعد تأكيد لمزيد الاعتناء، بمقام التوحيد [٢].

- قال الطيبي: "القول بالشهادتين عقيب الوضوء إشارة إلي إخلاص العمل لله، وطهارة القلب من الشرك والرياء، بعد طهارة الأعضاء من الحدث والخبث" [٣].

«وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا» قال النووي: وَأَمَّا تَسْمِيَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدٌ فَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: رَجُلٌ مُحَمَّدٌ وَمَحْمُودٌ إذَا كَثُرَتْ خِصَالُهُ الْمَحْمُودَةُ: قَالَ بن فَارِسٍ: وَبِذَلِكَ سُمِّيَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدٌ؛ يَعْنِي أَلْهَمَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَهُ تَسْمِيَتَهُ بِهِ لِمَا عَلِمَ مِنْ خِصَالِهِ الْمَحْمُودَةِ [٤].

ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: هو الاعتراف باطنًا وظاهرًا أنه عبد الله ورسوله إلى الناس كافة، والعمل بمقتضى ذلك من طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبدَ الله إلا بما شرع [٥].

«عَبْدُهُ» وصفه بالعبد؛ لأنه أعبد الناس، وأشدهم تحقيقًا لعبادة الله تعالى.

«وَرَسُولُهُ» الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله،

---

(١) عقيدة التوحيد للفوزان (ص: ٣٩).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٧٦١).

(٣) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٧٤٨).

(٤) المجموع شرح المهذب (١/ ٧٥)، شرح النووي على مسلم (٤/ ١١٧).

(٥) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك للفوزان (ص: ٤٠).

ووصفه بالرسول؛ لأن الله حمله الرسالة العظيمة -وهي الإسلام- إلى العالمين بشيرًا ونذيرًا.

«**إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**» قال ابن رجب الحنبلي: "فإذا كان الوضوء مع الشهادتين موجبًا لفتح أبواب الجنَّة، صار الوضوءُ نصفَ الإيمان بالله ورسوله بهذا الاعتبار" [١]. لأن خصال الإيمان قسمان: ظاهرة، وباطنة، فالطهور من الخصال الظاهرة، والتوحيد من الخصال الباطنة [٢].

وفي هذا الحديث ما يدل على أن الذكر بعد الوضوء فضيلة من فضائله، وعلى أن أبواب الجنة ثمانية لا غير، وعلى أن داخل الجنة يُخير في أي الأبواب شاء [٣].

- وهذا الحديث لا يعارض حديث "إن في الجنة بابًا لا يدخله إلا الصائمون" لاحتمال أن يدخله الصائمون أوَّلًا ثم يقع التخيير بعد [٤].

قال ابن القيم عن الشهادتين:

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةٌ قَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَخُلِقَتْ لِأَجْلِهَا جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبِهَا أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ، وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتِ الْمَوَازِينُ، وَوُضِعَتِ الدَّوَاوِينُ، وَقَامَ سُوقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبِهَا انْقَسَمَتِ الْخَلِيقَةُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ وَالْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، فَهِيَ مَنْشَأُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهِيَ الْحَقُّ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ، وَعَنْهَا وَعَنْ حُقُوقِهَا السُّؤَالُ وَالْحِسَابُ، وَعَلَيْهَا يَقَعُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَعَلَيْهَا نُصِبَتِ الْقِبْلَةُ، وَعَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْمِلَّةُ، وَلِأَجْلِهَا جُرِّدَتْ سُيُوفُ الْجِهَادِ، وَهِيَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ، فَهِيَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ،

---

(١) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل (٢/ ٦٣٦).

(٢) تطريز رياض الصالحين (ص: ٧٧٤).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٤٩٥).

(٤) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٥/ ٢١٧).

وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ، وَعَنْهَا يُسْأَلُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، فَلَا تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ: مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟

فَجَوَابُ الْأُولَى بِتَحْقِيقِ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَعَمَلًا.

وَجَوَابُ الثَّانِيَةِ بِتَحْقِيقِ " أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ " مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَانْقِيَادًا وَطَاعَةً.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ، وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَسَفِيرُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، الْمَبْعُوثُ بِالدِّينِ الْقَوِيمِ وَالْمَنْهَجِ الْمُسْتَقِيمِ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَإِمَامًا لِلْمُتَّقِينَ، وَحُجَّةً عَلَى الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ. أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ فَهَدَى بِهِ إِلَى أَقْوَمِ الطُّرُقِ وَأَوْضَحِ السُّبُلِ، وَافْتَرَضَ عَلَى الْعِبَادِ طَاعَتَهُ وَتَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ وَمَحَبَّتَهُ وَالْقِيَامَ بِحُقُوقِهِ، وَسَدَّ دُونَ جَنَّتِهِ الطُّرُقَ، فَلَنْ تُفْتَحَ لِأَحَدٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِ، فَشَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ، وَرَفَعَ لَهُ ذِكْرَهُ، وَوَضَعَ عَنْهُ وِزْرَهُ، وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ [١].

* * * * *

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٦).

قال المصنف رحمه الله:

١٤- ((اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ)).

نص الحديث كاملًا: عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، **اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ**، فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ " [١].

"**اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ**" يا الله، اجعلني من الذين إذا أذنبوا سارعوا بالعودة والإنابة إليك.
"**التَّوَّابِينَ**": جمع تواب، وهي صيغة مبالغة، و(التواب) أي الكثير التوبة، أي: الذي يتوب ثم يعود ثم يتوب ثم يعود ثم يتوب وهكذا، وهذا تأنيس لقلوب المجروحين من معاودة الذنب بعد التوبة منه [٢].

قال ابن القيم: "التَّوْبَةُ هِيَ الرُّجُوعُ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا إِلَى مَا يُحِبُّهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا" [٣].

قال النووي: قَالَ العلماءُ: التَّوْبَةُ وَاجبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْب.
فإنْ كَانت المَعْصِيَةُ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ الله تَعَالَى لاَ تَتَعلَّقُ بحقّ آدَمِيٍّ فَلَهَا ثَلاثَةُ شُرُوط:
أحَدُها: أنْ يُقلِعَ عَنِ المَعصِيَةِ.
والثَّاني: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا.
والثَّالثُ: أنْ يَعْزِمَ أنْ لا يعُودَ إِلَيْهَا أَبَدًا.
فَإِنْ فُقِدَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوبَتُهُ.

(١) سنن الترمذي ت شاكر (١/ ٧٨) برقم ٥٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٠٦١)، وصحيح سنن الترمذي (١/ ٥٥، بترقيم الشاملة آليا).
(٢) فيض القدير (٢/ ٢٨٩).
(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣١٣).

وإنْ كَانَتِ المَعْصِيةُ تَتَعلقُ بآدَمِيٍّ فَشُرُوطُهَا أرْبَعَةٌ: هذِهِ الثَّلاثَةُ، وأَنْ يَبْرَأَ مِنْ حَقّ صَاحِبِها، فَإِنْ كَانَتْ مالًا أَوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إلَيْه، وإنْ كَانَت حَدَّ قَذْفٍ ونَحْوَهُ مَكَّنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ، وإنْ كَانْت غِيبَةً استَحَلَّهُ مِنْهَا. ويجِبُ أَنْ يَتُوبَ مِنْ جميعِ الذُّنُوبِ، فَإِنْ تَابَ مِنْ بَعْضِها صَحَّتْ تَوْبَتُهُ عِنْدَ أهْلِ الحَقِّ مِنْ ذلِكَ الذَّنْبِ وبَقِيَ عَلَيهِ البَاقي. وَقَدْ تَظَاهَرَتْ دَلائِلُ الكتَابِ والسُّنَّةِ، وإجْمَاعِ الأُمَّةِ عَلَى وُجوبِ التَّوبةِ [١].

(**وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ**) أي اجعلني من الذين يُطَهرون أنفسهم من الخبث الحسي والمعنوي.

قال الصنعاني: "والجمع بين التوبة والتطهر في نهاية المناسبة؛ لأن التوبة تطهير القلب، والوضوء تطهير الجوارح، ومحبة الله ثابتة لمن جمع بينهما [٢].

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [٣].

* * * * *

(١) رياض الصالحين ت الفحل (ص: ١٤).

(٢) التحبير لإيضاح معاني التيسير (٧/ ١٦٠).

(٣) [البقرة: ٢٢٢].

قال المصنف رحمه الله:

١٥- ((سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتوبُ إِلَيْكَ)).

نص الحديث كاملًا: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ: سُبْحَانَكَ اللهُمَّ، وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، كُتِبَ فِي رَقٍّ ثُمَّ طُبِعَ بِطَابَعٍ فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " [(١)].

"سُبْحَانَكَ اللهُمَّ" التَّسْبِيحُ التَّنْزِيهُ وَقَوْلُهُمْ سُبْحَانَ اللَّهِ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ يُقَالُ سَبَّحْتُ اللَّهَ تسبيحًا وسبحانًا فسبحان الله معناه : أسبحك تسبيحًا، بمعنى: أنزهك تنزيهًا، عن كل نقص وعيب وعن كل ما لا يليق بجلالك وعظمتك، فأنت صاحب الأسماء الحسنى والصفات العلا.

"وَبِحَمْدِكَ" أي: لك الثناء الجميل الخالص على نعمائك التي لا تحصى.

قال النووي: وَبِحَمْدِكَ أَيْ وَبِحَمْدِكَ سَبَّحْتُكَ، وَمَعْنَاهُ بِتَوْفِيقِكَ لِي وَهِدَايَتِكَ وَفَضْلِكَ عَلَيَّ سَبَّحْتُكَ، لَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي، فَفِيهِ شُكْرُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ وَالِاعْتِرَافُ بِهَا وَالتَّفْوِيضُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّ كُلَّ الْأَفْعَالِ لَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ [(٢)].

"أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ" أشهد يعني: أَعْلَمُ وَأُبَيِّنُ: أي: أعلمُ في نفسي وأعتقدُ بِصِحَّةِ الْمَشْهُودِ بِهِ، وَثُبُوتِهِ، وأتكلم بذلك وأنطق به أو أكتبه، ولو مع نفسي. وأُبين لغيري بِمَا أَشْهَدُ بِهِ وَأُخْبِرُهُ بِهِ وَأُبَيِّنُهُ لَهُ [(٣)].

---

(١) أخرجه الطبراني في الدعاء (ص: ١٤٠)، والمعجم الأوسط (٢/ ١٢٣)، والبيهقي في الدعوات الكبير (١/ ١١٨)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣٧) برقم ٩٨٢٩، وقال في آخره [هَذَا خَطَأٌ، وَالصَّوَابُ مَوْقُوفٌ] اهـ. يعني والصواب أنه موقوف على أبي سعيد وليس مرفوعًا، وصححه الشيخ الألباني مرفوعًا وموقوفًا، فقال في السلسلة الصحيحة (٥/ ٤٤٠) ولا شك أن الوقف أصح إسنادًا، لكن قال الحافظ: "مثله لا يقال من قبل الرأي، فله حكم المرفوع" ..... والخلاصة: أن الحديث صحيح بمجموع طرقه المرفوعة، والموقوف لا يخالفه لأنه لا يقال بمجرد الرأي كما تقدم عن الحافظ.

(٢) شرح النووي على مسلم (٤/ ٢٠٢).

(٣) مستفاد من شرح الطحاوية لابن أبي العز ت الأرناؤوط (١/ ٤٤) بتصرف.

قال العيني: مَعْنَاهُ: أَعْلَمُ وَأُبَيِّنُ، وَمِنْ ذَلِكَ شَهِدَ الشَّاهِدُ عِنْد الْحَاكِم، مَعْنَاهُ: قد بَيَّنَ لَهُ وأعلمه الْخَبَر الَّذِي عِنْده، ..... وَقَالَ [الزَّجَّاج]: .... حَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْء، وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيْ حُضُوره [١].

(أَسْتَغْفِرُكَ) أي أطلب مغفرتك من الذنوب صغيرها وكبيرها، فأنت غافر الذنب وقابل التوب.

(وَأَتُوبُ إِلَيْكَ) أي أرجع إليك، وأعود إليك نادمًا على اقتراف الذنب مقلعًا عنه غير مصر على العودة إليه.

"فمعنى التوبة: الرجوع. يقال تاب، وأناب، وآب بمعنى: رجع، والتوبة: الرجوع من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف المحمودة [٢].

"كُتِبَ فِي رَقٍّ": قال الجوهري: والرَّق بالفتح: ما يُكْتَبُ فيه، وهو جلد[٣] رقيق، ومنه قوله تعالى: {فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ} [٤]. (ثُمَّ طُبِعَ بِطَابَعٍ) أي خُتِمَ عليه بخاتَم. والطبْعُ: الخَتْمُ. والطابَعُ [٥]: الخاتَم. وهذا طُبْعَان الأمير: أي طِيْنه الذي تُخْتَمُ به الكُتُب [٦]. يُقَالُ: طَبَعْتُ عَلَى الْكِتَابِ، أيْ: خَتَمْتُ [٧].

"فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" أي: فَلَمْ يُغَيَّرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ [٨]. فلا يتطرق إليه إحباط وإبطال [٩].

* * * * *

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٥/ ١٠٨).

(٢) سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان (ص: ٦٦، بترقيم الشاملة آليا).

(٣) وقيل هو: جلدٌ أبْيضُ يُكْتَبُ فِيهِ.

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٤٨٣).

(٥) والطابَعُ بالفتح: الخاتَمُ. والطابع بالكسر: لغة فيه. انظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣/ ١٢٥٢).

(٦) المحيط في اللغة (١/ ٧٣، بترقيم الشاملة آليا).

(٧) النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب (١/ ٣٠).

(٨) النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب (١/ ٣٠).

(٩) مجمع بحار الأنوار (٥/ ٤٥٥) لجمال الدين، الهندي الفَتَّني الكجراتي (المتوفى: ٩٨٦هـ).

قال المصنف رحمه الله:

١٠ - الذِّكْرُ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَنْزِلِ

١٦ - ((بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ)).

نص الحديث كاملًا: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ **بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟ " [١].

(**إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ**): أي: إذا بدأ بالخروج من باب بيته، ذاهبًا لبعض حاجته. **فقال:**
(**بِسْمِ اللَّهِ**) أي: خرجت أو أستعين به وبذكره في حكمه وأمره، وقضائه وقدره [٢].
(**تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ**) فيما خرجت إليه [٣]، وفوضت أمري إليه (واعتمدت عليه في جميع أموري) [٤]. قال الجوهري: والتَوَكُّلُ: إظْهارُ الْعَجْزِ وَالاعْتِمَادُ عَلَى غَيْرِك [٥].
وقال الجرجاني: التوكل: هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس [٦].
(**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**) (الحول): الحركة، يقال: حال الشخص: إذا تحرك، و(القوة): الاستطاعة، أي: لا حركة ولا استطاعة إلا بمشيئة الله تعالى وأقداره [٧].

---

(١) سنن أبي داود واللفظ له (٤/ ٣٢٥) برقم ٥٠٩٥، وسنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٤٩٠) برقم ٣٤٢٦، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٢١) وصحيح سنن الترمذي (٧/ ٤٢٦، بترقيم الشاملة آليا) برقم ٣٤٢٦.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٦٩٣).
(٣) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٩/ ٣٤٣).
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٦٩٣).
(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ١٨٤٥).
(٦) كتاب التعريفات (ص: ٧٠): لعلي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ).
(٧) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٢/ ٦٤) للقاضي ناصر الدين البيضاوي (ت ٦٨٥هـ).

قال الخطابي: (لا حول ولا قوة إلاّ بالله) أي: لا حيلة في دفع سوء ولا قوة في دَرْكِ خير إلاّ بالله [(١)].
قال الطيبي: "إذا استعان العبد بالله، وباسمه المبارك، فإن الله تعالي يهديه، ويرشده، ويعينه في الأمور الدينية والدنياوية، وإذا توكل على الله وفوض أمره إليه، كفاه الله؛ فيكون هو حسبه، {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}[(٢)]، ومن قال: ((لا حول ولا قوة إلا بالله)) وقاه الله شر الشيطان، ولا يسلط عليه" [(٣)].

(قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ) أَيْ: يُنَادِيهِ مَلَكٌ يَا عَبْدَ اللَّهِ (هُدِيتَ) بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ أَيْ: هُدِيتَ طَرِيق الْحَقِّ (وَكُفِيتَ) أَيْ: هَمَّكَ (وَوُقِيتَ) مِنَ الْوِقَايَةِ أَيْ: حُفِظْتَ (فَتَتَنَحَّى) وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ فَيَتَنَحَّى أَيْ يَتَبَعَّدَ (لَهُ) أَيْ: لِأَجْلِ الْقَائِلِ (الشَّيَاطِينُ) وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ الشَّيْطَانُ [(٤)] وهذا إما إبليسُ، أو شيطانُه الموكَّل به [(٥)]. فيتنحى له عن الطريق، (فَيَقُولُ لَهُ): أي: للمتنحي (شَيْطَانٌ آخَرُ): تسلية للأول أو تعجبًا من تعرضه (كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ) : أي: بإضلال رجل (قَدْ هُدِيَ) إلى هذا الذكر (وَكُفِيَ) حين توكل على اللَّه عن غيره (وَوُقِيَ؟) : أي: من الشياطين أجمعين ببركة هذه الكلمات فإنك لا تقدر عليه [(٦)].

*****

(١) معالم السنن (٢/ ٢٦٧).

(٢) [الطلاق: ٣].

(٣) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٦/ ١٩٠٥).

(٤) عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٣/ ٢٩٧).

(٥) شرح المصابيح لابن الملك (٣/ ٢٠٤).

(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٦٩٥)، وشرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٩/ ٣٤٤) بتصرف.

قال المصنف رحمه الله:

١٧- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ)).

نص الحديث كاملًا: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: مَا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا [رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ] فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ**» [1].

«**اللَّهُمَّ أَعُوذُ[2] بِكَ**» يا الله، ألتجئ إليك وأعتصم بك...

«**أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ**» ضَلَّ الشيء إذا ضاع، وضلَّ عن الطريق إذا حار، وَهُوَ مِنَ الضَّلَالِ: خِلَافُ الرَّشَادِ وَالْهِدَايَةِ.

«**أَنْ أَضِلَّ**» أي: أَعُوذُ بِكَ من أن أَضِلَّ في نفسي عن طريق الْحَقِّ والهداية، بأن أرتكب أمرًا يفضي بي إلى الضلال.

«**أَوْ أُضَلَّ**» أن يضلني غيري من شياطين الإنس والجن، بتزيين القبيح وتجميل المنكر.

«**أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَّ**» الزِّلة في الأصل: استرسال الرجل من غير قصد. يقال: زلت رجله تزل، والمزلة المكان الزلق.

(١) سنن أبي داود واللفظ له (٤/ ٣٢٥) برقم ٥٠٩٤، سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٤٩٠) برقم ٣٤٢٧، سنن النسائي (٨/ ٢٦٨) برقم ٥٤٨٦، سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٧٨) برقم ٣٨٨٤، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ص: ٢، بترقيم الشاملة آليا) ٥٠٩٤، و مشكاة المصابيح (٢/ ٧٥٥)، وصححه في السلسلة الصحيحة أيضًا برقم ٣١٦٣، لكنه ضعف ما بين المعقوفتين وهو رفع البصر فقال: (٧/ ٤٩٢) زيادة: " رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ" لا تصح؛ لعدم اتفاق الرواة عن شعبة عليها، ومخالفتهما لرواية الآخرين الثقات.....وقال في (٧/ ٤٩٣): ليس عند غير أبي داود الرفع المذكور اهـ.

(٢) [عاذ] بالله عز وجل عوذاً وعياذاً: أي لجأ إليه. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٧/ ٤٨٣٠).

وقيل للذنب من غير قصد له: (زلة) تشبيهًا بزلة الرجل[١].

«أَوْ أَزِلَّ» أن أخطئ وأسترسل في الذنب من حيث لا أشعر، أو أوقع غيري به.

«أَوْ أُزَلَّ» أن يوقعني غيري في الزلل بسبب غفلة أو شهوة محرمة.

«أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ» الظلم وضع الشيء في غير موضعه أو التعدي في حق غيره [٢].

«أَوْ أَظْلِمَ» أي أظلم نفسي بإيقاعها في الخطأ، وأَظْلِم غيري بأن أعتدي عليه، فأكون من الظالمين.

«أَوْ أُظْلَمَ» أو يظلمني غيري في نفسي أو مالي أو عرضي، فأكون مظلومًا مقهورًا.

والمعنى وأعوذ بك من أن أكون ظالمًا، أو مظلومًا.

"فَمن سلم من ظلم غَيره وَسلم النَّاس من ظلمه فقد عوفي وعوفي النَّاس مِنْهُ وَكَانَ بعض السّلف يَدْعُو (اللَّهُمَّ سلمني وَسلِّم مني)" [٣].

«أَوْ أَجْهَلَ» أي أمرَ الدين، أو حقوق الله عز وجل، أو حقوق النَّاس، أو فِي المعاشرة والمخالطة مع الأصحاب، أو أفعل بالناس فعل الجهلاء منْ الإيذاء، وإيصال الضرر إليهم [٤].

«أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ» يعني: أو يفعل الناسُ بنا فعلَ الْجُهَّال من إيصال الضرر إلينا [٥].

قال الطيبِي: إن الإنسان إذا خرج من منزله، لابد أن يعاشر الناس ويزاول الأمور،

فيخاف أن يعدل عن الطريق المستقيم؛

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٦/ ١٩٠٤).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٧١٠).

(٣) شرح حديث لبيك اللهم لبيك (ص: ١٠٢) لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ).

(٤) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٤٠/ ٣٤) لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي.

(٥) المفاتيح في شرح المصابيح (٣/ ٢٢٩).

فإما أن يكون في أمر الدين: فلا يخلو من أن يَضل أو يُضل،

وإما أن يكون في أمر الدنيا: فإما بسبب جريان المعاملة، بأن يظلم أو يُظلم،

وإما بسبب الاختلاط والمصاحبة، فإما أن يجهل أو يُجهل عليه؛

فاستعيذ من هذه الأحوال كلها بلفظ سلس موجز، ورُوعيَ المطابقة المعنوية والمشاكلة اللفظية، كقول الشاعر:

ألا لا يَجهَلَنْ أحَدٌ عَلَينا ... فَنَجهَلَ فوقَ جَهلِ الجاهلينَا [١].

ويعضد هذا التأويل الحديث السابق (إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ ...). فقوله: ((هُدِيتَ)) مطابق لقوله: ((أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ)) وقوله: ((وَكُفِيتَ)) لقوله: ((أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ)) وقوله: ((وَوُقِيتَ)) لقوله: ((أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ)) [٢].

* * * * *

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٦/ ١٩٠٤) ، وبيت الشعر لعمرو بن كلثوم، انظر جمهرة أشعار العرب (ص: ٨٧).

(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٦/ ١٩٠٥) بتصرف.

قال المصنف رحمه الله:

١١ – الذِّكْرُ عِنْدَ دُخُولِ المَنْزِلِ

١٨ – ((بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ)).

نص الحديث كاملًا: عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا وَلَجَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ، وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ، **بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ**" [(١)].

«**إِذَا وَلَجَ الرَّجُلُ**» : أي: دخل أو أراد أن يدخل «**بَيْتَهُ**»: «**فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ**» بمعنى: يا الله «**إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ، وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ**» قَالَ الطِّيبِيُّ: الْمَوْلِجُ بِكَسْرِ اللَّامِ وَمِنَ الرُّوَاةِ مَنْ فَتَحَهَا وَالْمُرَادُ الْمَصْدَرُ، أَيِ: الْوُلُوجُ وَالْخُرُوجُ،

أَوِ [المراد] الْمَوْضِعُ أَيْ: خَيْرَ الْمَوْضِعِ الَّذِي يُولَجُ فِيهِ، وَيُخْرَجُ مِنْهُ.

وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى تَعْلِيمًا لَهُ: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ} [الإسراء: ٨٠] وَهُوَ يَشْمَلُ كُلَّ دُخُولٍ وَخُرُوجٍ حَتَّى الدُّخُولَ فِي الْقَبْرِ وَالْخُرُوجَ عَنْهُ..." [(٢)].

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٣٢٥)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٢/ ٧١)، وحسنه ابن مفلح في الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٤٠٠)، وحسنه ابن باز في تحفة الأخيار ببيان جملة نافعة مما ورد في الكتاب والسنة من الأدعية والأذكار (ص: ٢٨)، ومجموع فتاوى ابن باز (٢٦/ ٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨٣٩، والصحيحة ٢٢٥، ثم تراجع وضعفه في الكلم الطيب التحقيق الثاني ٦٢ (ص: ٩١)، وضعيف سنن أبي داود (ص: ٢، بترقيم الشاملة آليا)، وانظر تراجعات الألباني (ص: ١١، ص: ١٩٤، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٦٩٥) بتصرف.

«بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا» أَيْ: دَخَلْنَا ذاكرين اسم اللَّه، مستعينين به.

«وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا» أي: كان خروجنا أيضًا على ذكر الله تعالى.

«وَعَلَى اللَّهِ رَبِّنَا»: بِالْجَرِّ: بَدَلٌ أَوْ بَيَانٌ «تَوَكَّلْنَا» أَيِ: اعْتَمَدْنَا على الله في دخولنا وخروجنا، وفي كل أمر «ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ»: أَيْ: أَهْلِ بَيْتِهِ؛ بقوله تحية الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته [(١)].

* * * * *

(١) انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٦٩٦)، شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٩/ ٣٤٦).

قال المصنف رحمه الله:

١٢ - دُعَاءُ الذَّهَابِ إِلَى الْمَسْجِدِ

١٩ - ((اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً، وَفِي لِسَانِي نُوراً، وَفِي سَمْعِي نُوراً، وَفِي بَصَرِي نُوراً، وَمِنْ فَوْقِي نُوراً، وَمِنْ تَحْتِي نُوراً، وَعَنْ يَمِينِي نُوراً، وَعَنْ شِمَالِي نُوراً، وَمِنْ أَمَامِي نُوراً، وَمِنْ خَلْفِي نُوراً، وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُوراً، وَأَعْظِمْ لِي نُوراً، وَعَظِّمْ لِي نُوراً، وَاجْعَلْ لِي نُوراً، وَاجْعَلْنِي نُوراً، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُوراً، وَاجْعَلْ فِي عَصَبِي نُوراً، وَفِي لَحْمِي نُوراً، وَفِي دَمِي نُوراً، وَفِي شَعْرِي نُوراً، وَفِي بَشَرِي نُوراً)) [(١)].

[((اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُوراً فِي قَبْرِي ... وَنُوراً فِي عِظَامِي))] [(٢)].

[((وَزِدْنِي نُوراً، وَزِدْنِي نُوراً، وَزِدْنِي نُوراً)) [(٣)]**]**

[((وَهَبْ لِي نُوراً عَلَى نُورٍ)) [(٤)]**]**.

هذا هو دعاء النور الذي كان النبي عليه الصلاة والسلام يدعو به في طريقه إلى المسجد.

قال ابن القيم رحمه الله: والشأن كل الشأن والفلاح كل الفلاح في النور، والشقاء كل الشقاء في فواته. ولهذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبالغ في سؤال ربه تبارك وتعالى حين يسأله أن يجعل [النور] في لحمه وعظامه وعصبه وشعره وبشره وسمعه وبصره ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن

---

(١) جميع هذه الألفاظ ملفقة ومجمعة من البخاري ومسلم وانظر صحيح البخاري: كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل (٨/ ٧٠) برقم ٦٣١٦، ومسلم: في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه برقم ١٨١ -(٧٦٣)، ١٨٧ -(٧٦٣)، ١٨٨ - (٧٦٣)، ١٨٩ - (٧٦٣)، ١٩١ - (٧٦٣).

(٢) سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٤٨٤) برقم ٣٤١٩، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٤١٩، بترقيم الشاملة آليا) برقم ٣٤١٩، وضعيف الجامع الصغير وزيادته(ص: ١٦٩) برقم ١١٩٤.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص: ٢٤٢) برقم ٦٩٦، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٥٨).

(٤) قال ابن حجرفي فتح الباري لابن حجر (١١/ ١١٨) "عند ابن أبي عاصم في كتاب الدعاء من طريق عبد الحميد بن عبد الرحمن عن كريب" ثم قال "ويجتمع من اختلاف الروايات كما قال بن العربي خمس وعشرون خصلة".

شماله وخلفه وأمامه، حتى يقول واجعلني نوراً فسأل ربه تبارك وتعالى أن يجعل النور في ذراته الظاهرة والباطنة، وأن يجعله محيطاً به من جميع جهاته، وأن يجعل ذاته وجملته نوراً، فدين الله عز وجل نور، وكتابه نور، ورسوله نور، وداره التي أعدها لأوليائه نور يتلألأ، وهو تبارك وتعالى نور السماوات والأرض، ومن أسمائه النور، وأشرقت الظلمات لنور وجهه [١].

نص الحديث كاملًا: هذا المتن ليس حديثًا واحدًا، وإنما هو دعاءٌ مُلَفَّقٌ من عدة روايات، وهذه الروايات نصها كالآتي:

رواية البخاري: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بِتُّ عِنْدَ مَيْمُونَةَ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَى حَاجَتَهُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ، فَأَتَى القِرْبَةَ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا بَيْنَ وُضُوءَيْنِ لَمْ يُكْثِرْ وَقَدْ أَبْلَغَ، فَصَلَّى، فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ، كَرَاهِيَةَ أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَتَّقِيهِ، فَتَوَضَّأْتُ، فَقَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِأُذُنِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَتَامَّتْ صَلاَتُهُ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، فَآذَنَهُ بِلاَلٌ بِالصَّلاَةِ، فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا**» قَالَ كُرَيْبٌ: وَسَبْعٌ فِي التَّابُوتِ، فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ العَبَّاسِ، فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ، فَذَكَرَ **عَصَبِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعَرِي وَبَشَرِي**، وَذَكَرَ خَصْلَتَيْنِ [٢].

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٥٠).

(٢) صحيح البخاري (٨/ ٦٩) برقم ٦٣١٦.

رواية مسلم: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَتَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ فَأَتَى الْقِرْبَةَ، فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ، وَلَمْ يُكْثِرْ، وَقَدْ أَبْلَغَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى، فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَنْتَبِهُ لَهُ، فَتَوَضَّأْتُ، فَقَامَ فَصَلَّى، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَتَامَّتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، فَأَتَاهُ بِلَالٌ فَآذَنَهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَامَ فَصَلَّى، وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، وَكَانَ فِي دُعَائِهِ: «**اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَعَظِّمْ لِي نُورًا**». قَالَ كُرَيْبٌ: وَسَبْعًا فِي التَّابُوتِ، فَلَقِيتُ بَعْضَ وَلَدِ الْعَبَّاسِ، فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ، فَذَكَرَ: **عَصَبِي، وَلَحْمِي، وَدَمِي، وَشَعْرِي، وَبَشَرِي، وَذَكَرَ خَصْلَتَيْنِ**[(١)].

رواية لمسلم أيضًا: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بِتُّ فِي بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةَ فَبَقَيْتُ كَيْفَ يُصَلِّي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَقَامَ فَبَالَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الْقِرْبَةِ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا، ثُمَّ صَبَّ فِي الْجَفْنَةِ، أَوِ الْقَصْعَةِ، فَأَكَبَّهُ بِيَدِهِ عَلَيْهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا حَسَنًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَجِئْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَكَامَلَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ نَامَ حَتَّى نَفَخَ وَكُنَّا نَعْرِفُهُ إِذَا نَامَ بِنَفْخِهِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّى، فَجَعَلَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ، أَوْ فِي سُجُودِهِ: «**اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا»، أَوْ قَالَ: «وَاجْعَلْنِي نُورًا»**[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٢٥) ١٨١ - (٧٦٣).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٥٢٨) ١٨٧ - (٧٦٣).

رواية لمسلم أيضًا: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ، وَلَمْ يَذْكُرْ غَسْلَ الْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: ثُمَّ أَتَى الْقِرْبَةَ فَحَلَّ شِنَاقَهَا فَتَوَضَّأَ وُضُوءًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ، ثُمَّ أَتَى فِرَاشَهُ فَنَامَ، ثُمَّ قَامَ قَوْمَةً أُخْرَى، فَأَتَى الْقِرْبَةَ فَحَلَّ شِنَاقَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا هُوَ الْوُضُوءُ، وَقَالَ: «**أَعْظِمْ لِي نُورًا**»، وَلَمْ يَذْكُرْ «وَاجْعَلْنِي نُورًا» [(١)].

رواية لمسلم أيضًا: عن ابن عباس أنه بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْقِرْبَةِ، فَسَكَبَ مِنْهَا فَتَوَضَّأَ وَلَمْ يُكْثِرْ مِنَ الْمَاءِ، وَلَمْ يُقَصِّرْ فِي الْوُضُوءِ وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ قَالَ: وَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَتَئِذٍ تِسْعَ عَشْرَةَ كَلِمَةً، قَالَ سَلَمَةُ: حَدَّثَنِيهَا كُرَيْبٌ، فَحَفِظْتُ مِنْهَا ثِنْتَيْ عَشْرَةَ، وَنَسِيتُ مَا بَقِيَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهُمَّ اجْعَلْ لِي فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَمِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيَّ نُورًا، وَمِنْ خَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورًا، وَأَعْظِمْ لِي نُورًا**» [(٢)].

رواية لمسلم أيضًا: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ رَقَدَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَيْقَظَ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ وَهُوَ يَقُولُ: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}[(٣)]، فَقَرَأَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَطَالَ فِيهِمَا الْقِيَامَ وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ سِتَّ رَكَعَاتٍ، كُلَّ ذَلِكَ يَسْتَاكُ وَيَتَوَضَّأُ وَيَقْرَأُ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ، ثُمَّ أَوْتَرَ بِثَلَاثٍ، فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَهُوَ يَقُولُ:

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٢٩) ١٨٨ - (٧٦٣).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٥٢٩) ١٨٩ - (٧٦٣).

(٣) [آل عمران: ١٩٠].

«اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا» [١].

رواية الترمذي:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَيْلَةً حِينَ فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي، وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي، وَتَلُمُّ بِهَا شَعَثِي، وَتُصْلِحُ بِهَا غَائِبِي، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي، وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي، وَتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي، وَتَرُدُّ بِهَا أُلْفَتِي، وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِيمَانًا وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ، وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الفَوْزَ فِي الْقَضَاءِ، وَنُزُلَ الشُّهَدَاءِ، وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ، وَالنَّصْرَ عَلَى الأَعْدَاءِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْزِلُ بِكَ حَاجَتِي، وَإِنْ قَصُرَ رَأْيِي وَضَعُفَ عَمَلِي، افْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ، فَأَسْأَلُكَ يَا قَاضِيَ الأُمُورِ، وَيَا شَافِيَ الصُّدُورِ، كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ البُحُورِ أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، وَمِنْ دَعْوَةِ الثُّبُورِ، وَمِنْ فِتْنَةِ القُبُورِ، اللَّهُمَّ مَا قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي، وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي، وَلَمْ تَبْلُغْهُ مَسْأَلَتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ، فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ، وَأَسْأَلُكَهُ بِرَحْمَتِكَ رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ ذَا الحَبْلِ الشَّدِيدِ، وَالأَمْرِ الرَّشِيدِ، أَسْأَلُكَ الأَمْنَ يَوْمَ الوَعِيدِ، وَالجَنَّةَ يَوْمَ الخُلُودِ، مَعَ المُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ الرُّكَّعِ، السُّجُودِ المُوفِينَ بِالعُهُودِ، إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ، وَإِنَّكَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ، غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، سِلْمًا لِأَوْلِيَائِكَ، وَعَدُوًّا لِأَعْدَائِكَ، نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أَحَبَّكَ، وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ، اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ وَعَلَيْكَ الإِجَابَةُ، وَهَذَا الجُهْدُ وَعَلَيْكَ التُّكْلَانُ، **اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي، وَنُورًا فِي قَبْرِي، وَنُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَنُورًا مِنْ خَلْفِي، وَنُورًا عَنْ يَمِينِي، وَنُورًا عَنْ شِمَالِي، وَنُورًا مِنْ فَوْقِي، وَنُورًا مِنْ تَحْتِي، وَنُورًا فِي سَمْعِي، وَنُورًا فِي**

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٣٠) ١٩١ - (٧٦٣).

بَصَرِي، وَنُورًا فِي شَعْرِي، وَنُورًا فِي بَشَرِي، وَنُورًا فِي لَحْمِي، وَنُورًا فِي دَمِي، **وَنُورًا فِي عِظَامِي**، اللَّهُمَّ أَعْظِمْ لِي نُورًا، وَأَعْطِنِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا، سُبْحَانَ الَّذِي تَعَطَّفَ العِزَّ وَقَالَ بِهِ، سُبْحَانَ الَّذِي لَبِسَ المَجْدَ وَتَكَرَّمَ بِهِ، سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ، سُبْحَانَ ذِي الفَضْلِ وَالنِّعَمِ، سُبْحَانَ ذِي المَجْدِ وَالكَرَمِ، سُبْحَانَ ذِي الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ»: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ مِثْلَ هَذَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ» (١).

رواية البخاري في الأدب المفرد:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى فَقَضَى صَلَاتَهُ، يُثْنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ كَلَامِهِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي، وَاجْعَلْ لِي نُورًا فِي سَمْعِي، وَاجْعَلْ لِي نُورًا فِي بَصَرِي، وَاجْعَلْ لِي نُورًا عَنْ يَمِينِي، وَنُورًا عَنْ شِمَالِي، وَاجْعَلْ لِي نُورًا مِنْ بَيْنَ يَدَيَّ، وَنُورًا مِنْ خَلْفِي، **وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا**» (٢).

رواية ابن أبي عاصم: ذكرها ابن حجر في الفتح فقال: وعند بن أبي عاصم في كتاب الدعاء من طريق عبد الحميد بن عبد الرحمن عن كريب في آخر الحديث «**وهب لي نورا على نور**» (٣).

- والأولَى –والله أعلم– أن يختار الناسكُ روايةً واحدة يقولها مرة، وأخرى مرة إحياءً للسنة، وحفظًا لها بوجوهها المتنوعة.

---

(١) سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٤٨٢) برقم ٣٤١٩، وضعفه الأباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: ١٦٩) برقم ١١٩٤.

(٢) البخاري في الأدب المفرد (ص: ٢٤٢) برقم ٦٩٦، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٥٨).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١١٨).

- **<u>شرح رواية البخاري.</u>**

قال الإمام البخاري في صحيحه [١]: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سَلَمَةَ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **بِتُّ عِنْدَ** (**مَيْمُونَةَ**[٢]) وهي خالة ابن عباس، (**فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَى حَاجَتَهُ**) أي: أي محل قضائها فقضاها، وهي البول كما فسرها في الرواية الأخرى عند مسلم، بقوله "فَقَامَ فَبَالَ"، (**فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ**[٣]) فهذا القيام للحدث لا للصلاة، وغسله وجْهَهُ ويديه لِلتَّنْظِيفِ ولنفي الكسل وَالتَّنْشِيطِ لِلذِّكْرِ وَغَيْرِهِ [٤] (**ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قامَ، فَأَتَى القِرْبَةَ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا**) وَالشِّنَاقُ بِالْكَسْرِ خَيْطٌ يُشَدُّ بِهِ فَمُ الْقِرْبَةِ [٥]، (**ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا بَيْنَ وُضُوءَيْنِ**) أي: [وضوءاً حسنًا] من غير تقتير ولا تبذير كما فسره بقوله (**لَمْ يُكْثِرْ**) بأن اكتفى بأقل من الثلاث في الغَسْلِ (**وَقَدْ أَبْلَغَ**) أوصل الماء إلى ما يجب إيصاله إليه [٦]، ويحتمل أن يكون قَلَّلَ من الماء مع التثليث أو اقتصر على دون الثلاث [٧]، (**فَصَلَّى، فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ**) تمددت كما هو دأب الإنسان إذا قام من النوم [لأول وهلة من مدٍ لأعضائه ونحو ذلك]. [٨]، (**كَرَاهِيَةَ أَنْ يَرَى**) أي تمطيت وتمددت لأجل كراهية أن يعرف (**أَنِّي كُنْتُ أَتَّقِيهِ**) أي: أرقبه وأنظره، وفي رواية عند مسلم كَرَاهِيَةَ أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَنْتَبِهُ لَهُ، "وإنما حمل

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ٦٩) برقم ٦٣١٦ وقد سبق تخريجه.

(٢) وفي رواية لمسلم قال "بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ" وهي زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين، ميمونة بنت الحارث الهلالية أخت لبابة بنت الحارث زوجة العباس بن عبد المطلب أم عبد الله بن عباس - رضي اللَّه عنهما.

(٣) ويحتمل أنه أراد بهذ الغسل للوجه واليدين الوضوءَ، فذكر الجزء وأراد الكل، لقوله في الرواية الأخرى عند مسلم (١/ ٥٢٩) ١٨٨ - (٧٦٣) "ثم أتى القربة فحل شناقها فتوضأ وضوءًا بين الوضوءين، ثم أتى فراشه فنام، ثم قام قومة أخرى فأتى القربة فحل شناقها ثم توضأ وضوءًا هو الوضوء". انظر فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٣/ ٥٥٥).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٢٠)، شرح النووي على مسلم (٦/ ٤٤).

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٣٢٤).

(٦) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٩/ ١٨٣).

(٧) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١١٦)..

(٨) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (١٠/ ٦٤)، وأصله تمطط أي تمدد وقيل هو من المطا وهو الظهر لأن المتمطي يمد مطاه أي ظهره. وانظر شرح القسطلاني (٩/ ١٨٣).

ابن عباس على ذلك الحرص على التعليم، ومعرفة حركات النبي (صلى الله عليه وسلم) في ليله[١]"، "وَكَأَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَتْرُكَ بَعْض عَمَلِهِ لِمَا جَرَى مِنْ عَادَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَتْرُكُ بَعْضَ الْعَمَلِ خَشْيَةَ أَنْ يُفْرَضَ عَلَى أُمَّتِهِ[٢]".

(**فَتَوَضَّأْتُ**) أَيْ: نَحْوَ وُضُوئِهِ كَمَا فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى (**فَقَامَ يُصَلِّي**) أَيْ: فَشَرَعَ فِي الصَّلَاةِ (**فَقُمْتُ**) أَيْ: لِلصَّلَاةِ مَعَهُ تَعَلُّمًا وَتَبَرُّكًا (**عَنْ يَسَارِهِ**) : لِعَدَمِ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ كَانَ صَغِيرًا وُلِدَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ [٣] (**فَأَخَذَ بِأُذُنِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ**) أي: أدارني عن جانب يساره إلى جانب يمينه[٤].

(**فَتَتَامَّتْ**) أَيْ: تَمَّتْ وَتَكَامَلَتْ [٥] (**صَلَاتُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً**)

(**ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ**) أي: تنفس بصوتٍ حتى يسمع منه صوت النفخ، كما يسمع من النائم[٦]. (**وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ**) كما يقع ذلك لبعض النائمين وهو اندفاع النفس بقوة [٧] وهذا ليس بمذموم ولا مستهجن [٨] (**فَآذَنَهُ**) أي: أعلمه (**بِلَالٌ بِالصَّلَاةِ**) أي بطلوع الفجر ودخول وقت صلاة الصبح (**فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ**) أي فصلى الصبح بالوضوء الأول، ولم يتوضأ بعد الاستيقاظ من نومه وضوءاً جديدًا [٩].

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠/ ٨٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٤٨٣).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩٠٣)

(٤) شرح المصابيح لابن الملك (٢/ ١٤٦).

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩٠٤).

(٦) شرح المصابيح لابن الملك (٢/ ١٤٧).

(٧) التنوير شرح الجامع الصغير (٨/ ٤٥٠).

(٨) فيض القدير (٥/ ١٦٢).

(٩) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (١/ ٢٣٩).

قال النووي: هَذَا مِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ نَوْمَهُ مُضْطَجِعًا لَا يَنْقُضُ الْوُضُوءَ لِأَنَّ عَيْنَيْهِ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ فَلَوْ خَرَجَ حَدَثٌ لَأَحَسَّ بِهِ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ [(١)]. لِأَنَّ النَّوْمَ لَا يَنْقُضُ الطُّهْرَ بِنَفْسِهِ، بَلْ لِأَنَّهُ مَظِنَّةُ خُرُوجِ الْخَارِجِ، وَلَمَّا كَانَ قَلْبُهُ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – يَقْظَانَ لَا يَنَامُ وَلَمْ يَكُنْ نَوْمُهُ مَظِنَّةً فِي حَقِّهِ، فَلَا يُؤَثِّرُ، وَلَعَلَّهُ أَحَسَّ بِتَيَقُّظِ قَلْبِهِ بَقَاءَ طُهْرِهِ [(٢)]. وَلِهَذَا كَانَ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] رُبَّمَا تَوَضَّأَ إِذَا قَامَ مِنَ النَّوْمِ وَرُبَّمَا لَمْ يَتَوَضَّأْ قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَإِنَّمَا مُنِعَ قَلْبُهُ النَّوْمَ لِيَعِيَ الْوَحْيَ الَّذِي يَأْتِيهِ فِي مَنَامِهِ [(٣)]. فَالْوُضُوءُ الْأَوَّلُ إِمَّا لِنَقْضٍ آخَرَ، أَوْ لِتَجْدِيدٍ وَتَنْشِيطٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ [(٤)].

(**وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ:**) فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ دُعَاءَهُ حِينَئِذٍ كَانَ كَثِيرًا وَكَانَ هَذَا مِنْ جُمْلَتِهِ [(٥)]. «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا**» قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: التَّنْوِينُ فِيهَا لِلتَّعْظِيمِ أَيْ: نُورًا عَظِيمًا [(٦)]. يَتَبَيَّنُ بِهِ الشَّيْءُ وَيَظْهَرُ [(٧)]. وأعلم به الحق.

وقدّم القلب؛ لأنه المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، فإذا تنوّر القلب فاض نوره على جميع الجسد، وإذا حلّ النور في القلب والأعضاء حلّت الهداية فيها؛ لأن النور يقشع ظلمات الذنوب، ويرفع رَيْن الآثام، فنشطت الأعضاء للعبادة، وسعدت السعادت الأبديّة [(٨)].

---

(١) شرح النووي على مسلم (٦/ ٤٥).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩٠٤).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٣٩).لأن "رُؤْيَا الأنبيَاء وَحْيٌ"، قال تعالى على لسان إبراهيم {إِنِّي أَرَى فِي المَنَام أَنِّي أَذْبَحُكَ} [الصافات: ١٠٢]".

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩٠٤).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١١٧).

(٦) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١١٧)

(٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩٠٤).

(٨) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (١٦/ ١٣).

قال بعضهم: وَإِذَا حَلَّتِ الهِدَايَةُ قَلْبًا ... نَشِطَتْ للْعِبَادَةِ الأَعْضَاءُ [١].

(وفي لساني نورًا [٢]) فلا ينطق إلا بما ترضاه [٣]. (وَفِي بَصَرِي نُورًا) أُبصر به الحق [٤]، وليتحلى بصري بأنوار المعارف ويتجلى لَهُ صنوف الْحَقَائِق [٥].

(وَفِي سَمْعِي نُورًا) مظهرًا للمسموعات [٦]، ليصير سمعي مظهرًا لكل مسموع ومدركًا لكل كَمَال لَا مَقْطُوع وَلَا مَمْنُوع [٧] فأسمع ما أنتفع به ويصل إلى قلبي [٨].

(وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا) أَيْ: فِي جَانِبِي، أَوْ فِي جَارِحَتِي[٩].

قال ابن الأثير: أَرَادَ [بالنور] ضِياء الْحَقِّ وبيَانَه، كَأَنَّهُ قَالَ: اللهمَّ استعمِل هَذِهِ الأعضاءَ مِنِّي فِي الْحَقِّ. وَاجْعَلْ تَصَرُّفي وتَقَلُّبي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ الصَّوَابِ وَالْخَيْرِ [١٠].

- لماذا خصَّ القلب والسمع والبصر بـــ(في)، وخص اليمين والشمال بـــ(عن) ؟

قال الطيبي: وَإِنَّمَا خَصَّ الْقَلْبَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ بِـــ (فِي) الظَّرْفِيَّةِ ؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ مَقَرُّ الْفِكْرِ فِي آلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْبَصَرَ مَسَارِحُ النَّظَرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ الْمَنْصُوبَةِ الْمَبْثُوثَةِ فِي الْآفَاقِ وَالْأَنْفُسِ، وَالسَّمْعَ

(١) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (١٣/ ٣٦٤).

(٢) هذه اللفظة عند مسلم انظر صحيح مسلم (١/ ٥٢٩) ١٨٩ - (٧٦٣)، (١/ ٥٣٠) ١٩١ - (٧٦٣).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (٣/ ١٥٢).

(٤) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (١٠/ ٤٥).

(٥) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٢١٩).

(٦) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٩/ ١٨٤).

(٧) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٢١٩).

(٨) إتحاف المسلم بشرح حصن المسلم.

(٩) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩٠٥).

(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٢٥).

مَحَطُّ آيَاتِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، وَالْيَمِينَ وَالشَّمَالَ خُصَّا بِـــ(عَنْ) لِلْإِيذَانِ بِتَجَاوُزِ الْأَنْوَارِ عَنْ قَلْبِهِ وَبَصَرِهِ وَسَمْعِهِ إِلَى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ مِنْ أَتْبَاعِهِ [١].

(وَفَوْقِي نُورًا) (وَتَحْتِي نُورًا) (وَأَمَامِي نُورًا) أي: قُدّامي نورًا يسعى بين يديّ (وَخَلْفِي نُورًا) أي: ليهتدي أتباعي بضوئه، ويستنيروا بإشراقه، والمعنى: اجعل النور يَحُفّني من جميع الجهات الستّ، حتى لا يكون للشيطان سبيل [٢].

(وَاجْعَلْ لِي نُورًا [٣]): هذا إجمال بعد التفصيل، أراد به نورًا عظيمًا جامعًا للأنوار كلها [٤]. وهذا دعاء بدوام ذلك لأنه حاصل له –صلى الله عليه وسلم– وهو تعليم لأمته [٥]. (قَالَ كُرَيْبٌ: [٦]) وهو راوي الحديث عن ابن عباس (وَسَبْعٌ) من الكلمات أو الأنوار (فِي التَّابُوتِ) : أَي سَبْعَة أَشْيَاء مَكْتُوبَة عِنْدِي فِي التابوت، وَهُوَ نَحْو الصندوق. يَقُول: قد نسيتها وَهِي عِنْدِي مَكْتُوبَة [٧].

قال سَلَمَةُ بنُ كُهَيْلٍ [٨]، وهو رواي الحديث عن كُرَيْب (فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ العَبَّاسِ) وهو عَليّ بن عبد الله بن عَبَّاس رضي الله عنهم (فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ) أي: بالكلمات السبع. (فَذَكَرَ: عَصَبِي[٩]) لِأَنَّ بِهِ قَوَامَ الْبَدَنِ (وَلَحْمِي) لِأَنَّ بِهِ نُمُوَّهُ وَزِيَادَتَهُ (وَدَمِي) لِأَنَّ بِهِ حَيَاتَهُ (وَشَعَرِي)

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩٠٥).

(٢) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (١٦/ ١٣).

(٣) وفي رواية قَالَ: «وَعَظِّمْ لِي نُورًا»، وفي رواية قَالَ: «وَاجْعَلْنِي نُورًا»، وفي رواية قَالَ: «أَعْظِمْ لِي نُورًا»، وفي رواية قَالَ: «وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورًا، وَأَعْظِمْ لِي نُورًا»، وفي رواية قَالَ: «اللهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا»، وفي رواية قَالَ: «وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا»، وفي رواية قَالَ: «وهب لي نورا على نور»، انظر كل هذه الروايات في بداية شرح الحديث.

(٤) شرح المصابيح لابن الملك (٢/ ١٤٧).

(٥) فيض القدير (٢/ ١١٥).

(٦) وهو كريب بن أبى مسلم القرشي الهاشمي مولاهم ، أبو رشدين الحجازي المدني ، مولى عبد الله بن عباس، من الوسطى من التابعين توفي عام (٩٨) بالمدينة، روى له (البخاري - مسلم - أبو داود - الترمذي - النسائي - ابن ماجه).

(٧) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ٣٤٥).

(٨) سلمة بن كهيل بن حصين الحضرمي ، أبو يحيى الكوفي من الطبقة التي تلى الوسطى من التابعين روى له : (البخاري - مسلم - أبو داود - الترمذي - النسائي - ابن ماجه).

(٩) والعصب: أطناب المفاصل الَّتِي تلائم بَيْنهَا وتشدُّها. انظر تهذيب اللغة (٢/ ٣١).

لِأَنَّ بِهِ جَمَالَهُ، وَهُوَ بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَسُكُونِهَا (وَبَشَرِي) أَيْ: جِلْدِي ؛ لِأَنَّهُ الَّذِي امْتَازَ بِهِ الْإِنْسَانُ عَنْ بَدَنِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ [(١)]، (وَذَكَرَ خَصْلَتَيْنِ) أَيْ تَكْمِلَةَ السَّبْعَةِ [(٢)]، فحفظ سلمة بن كهيل منهن خمسًا، ونسي أيضًا خصلتين [(٣)]، قال ابن حجر: الْأَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِمَا: اللِّسَانُ وَالنَّفْسُ، وَهُمَا اللَّذَانِ زَادَهُمَا عُقَيْلٌ فِي رِوَايَتِهِ عِنْدَ مُسْلِمٍ [(٤)].

- **ما المراد بالنور في الأعضاء والجهات ؟**

قال النووي: قَالَ الْعُلَمَاءُ سَأَلَ النُّورَ فِي أَعْضَائِهِ وَجِهَاتِهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ بَيَانُ الْحَقِّ وَضِيَاؤُهُ وَالْهِدَايَةُ إِلَيْهِ فَسَأَلَ النُّورَ فِي جَمِيعِ أَعْضَائِهِ وَجِسْمِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ وَتَقَلُّبَاتِهِ وَحَالَاتِهِ وَجُمْلَتِهِ فِي جِهَاتِهِ السِّتِّ حَتَّى لَا يَزِيغَ شَيْءٌ مِنْهَا عَنْهُ [(٥)].

قَالَ الطِّيبِيُّ: مَعْنَى طَلَبِ النُّورِ لِلْأَعْضَاءِ عُضْوًا عُضْوًا أَنْ يَتَحَلَّى بِأَنْوَارِ الْمَعْرِفَةِ وَالطَّاعَاتِ وَيَتَعَرَّى عَمَّا عَدَاهُمَا، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تُحِيطُ بِالْجِهَاتِ السِّتِّ بِالْوَسَاوِسِ فَكَانَ التَّخَلُّصُ مِنْهَا بِالْأَنْوَارِ السَّادَّةِ لِتِلْكَ الْجِهَاتِ. قَالَ: وَكُلُّ هَذِهِ الْأُمُورِ رَاجِعَةٌ إِلَى الْهِدَايَةِ وَالْبَيَانِ وَضِيَاءِ الْحَقِّ، وَإِلَى ذَلِكَ يُرْشِدُ قَوْله تَعَالَى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ} انْتهى مُلَخصا [(٦)].

قال أبو العباس القرطبي [(٧)]: وهذه الأنوار التي دعا بها النبي – صلى الله عليه وسلم – يمكن أن تحمل على ظاهرها، فيكون معنى سؤاله: أن يجعل الله له في كل عضو من أعضائه نورًا يوم القيامة،

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩٠٥).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١١٨).

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠/ ٨٦).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١١٨)، وانظر هذه الرواية التي تكلم عنها ابن حجر في صحيح مسلم (١/ ٥٢٩) ١٨٩ - (٧٦٣).

(٥) شرح النووي على مسلم (٦/ ٤٥).

(٦) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١١٨).

(٧) وهو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ)، وهو ليس صاحب التفسير أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ).

يستضيء به في تلك الظلم هو ومن تبعه، أو من شاء الله تعالى ممن تبعه. والأولى أن يقال: هذه الأنوار هي مستعارة للعلم والهداية، كما قال تعالى: {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ} [١] وكما قال تعالى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} [٢] أي: علمًا وهداية، والتحقيق في معنى النور: أن النور مُظهِر ما ينسب إليه، وهو يختلف بحسبه، فنور الشمس مُظهِرٌ للمبصرات، ونور القلب كاشف عن المعلومات، ونور الجوارح ما يبدو عليها من أعمال الطاعات، فكأنه دعا بإظهار الطاعات عليها دائمًا، والله تعالى أعلم [٣].

[ولا مانع أن يشمل هذا النور الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم] النورَ الحسي الذي يكون يوم القيامة، والنورَ المعنوي الذي يكون في هذه الحياة الدنيا، وهو أن يكون على هدى وبصيرة، وأن يسير إلى الله عز وجل على نور وهدى واستقامة، قد أخرج من الظلمات إلى النور بالحق والهدى [٤].

وهذا الدعاء له ارتباط وثيق بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "وَالصَّلَاةُ نُورٌ" [٥]؛ لأن المسلم يقول هذا الدعاء في أثناء توجهه إلى المسجد لأداء الصلاة في جماعة وهو يرجو بذلك أن تكون هذه الصلاة له نورًا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ [٦]"[٧].

*** * * * ***

(١) [الزمر: ٢٢].

(٢) [الأنعام: ١٢٢].

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٣٩٥).

(٤) شرح سنن أبي داود للعباد (١٦٥/ ١٣، بترقيم الشاملة آليا) بتصرف.

(٥) صحيح مسلم (١/ ٢٠٣) برقم ١ - (٢٢٣).

(٦) مسند أحمد ط الرسالة (١١/ ١٤١).

(٧) إتحاف المسلم بشرح حصن المسلم ص ١٥٨.

قال المصنف رحمه الله:

١٣ - دُعَاءُ دُخُولِ المَسْجِدِ

٢٠ - ((يَبْدَأُ بِرِجْلِهِ الْيُمْنَى))، وَيَقُولُ: ((أَعُوذُ بِاللَّهِ العَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)) [بِسْمِ اللَّهِ، وَالصَّلَاةُ] [وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ] ((اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ)).

١٤ - دُعَاءُ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ

٢١ - ((يَبْدَأُ بِرِجْلِهِ الْيُسْرَى)) وَيَقُولُ: ((بِسْمِ اللَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ، اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)).

قوله رحمه الله: (يَبْدَأُ) أي: فِي دُخُولِ الْمَسْجِدِ [١] (بِرِجْلِهِ الْيُمْنَى) وعند الخروج من المسجد (يَبْدَأُ بِرِجْلِهِ الْيُسْرَى).

نص الحديث: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ كَانَ، يَقُولُ: «مِنَ السُّنَّةِ إِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ أَنْ تَبْدَأَ بِرِجْلِكَ الْيُمْنَى، وَإِذَا خَرَجْتَ أَنْ تَبْدَأَ بِرِجْلِكَ الْيُسْرَى» [٢].

وقال البخاري: بَابُ التَّيَمُّنِ فِي دُخُولِ المَسْجِدِ وَغَيْرِهِ، قال: وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ: «يَبْدَأُ بِرِجْلِهِ اليُمْنَى

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/ ١٧١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه (١/ ٣٣٨) برقم ٧٩١، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٦٢٠) برقم ٤٣٢٢، وحسنه الألباني وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٥/ ٦٢٤) برقم ٢٤٧٨،

فَإِذَا خَرَجَ بَدَأَ بِرِجْلِهِ الْيُسْرَى»[١]. وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ مَا اسْتَطَاعَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ، فِي طُهُورِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَتَنَعُّلِهِ»[٢].

قوله (ويقول): أي عند دخول المسجد «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ».

نص الحديث: عَنْ حَيْوَةَ بْنِ شُرَيْحٍ، قَالَ: لَقِيتُ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ، فَقُلْتُ لَهُ: بَلَغَنِي أَنَّكَ حَدَّثْتَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ[٣] الْمَسْجِدَ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»، قَالَ: أَقَطْ؟[٤] قُلْتُ: نَعَمْ[٥]، قَالَ[٦]: فَإِذَا قَالَ[٧]: ذَلِكَ[٨] قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ[٩][١٠].

(**أَعُوذُ**) أَيْ: أَعْتَصِمُ وَأَلْتَجِئُ[١١](**بِاللَّهِ العَظِيمِ**) الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عَظَمَتِهِ[١٢]. فهو أعظمُ كلِّ شيءٍ بالجلالِ والكبرياءِ والقهرِ والقدرةِ والسلطانِ[١٣].

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٩٣).

(٢) صحيح البخاري (١/ ٩٣) برقم ٤٢٦.

(٣) أي: أراد الدخول، انظر بذل المجهود في حل سنن أبي داود (٣/ ١٩١).

(٤) الهمزة للاستفهام، وقط بمعنى حسب، يعني قال عقبة لحيوة أبلغك عني هذا القدر من الحديث فقط.

(٥) القائل هو: حيوة.

(٦) أي: عقبة.

(٧) أي: الرجل الذي أراد دخول للمسجد.

(٨) أي: فإذا قال ذلك الكلام، وهو "أَعُوذُ بِاللَّهِ العَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ القَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ".

(٩) وهذه الجملة من بقية الحديث الذي بلغك عني. انظر عون المعبود وحاشية ابن القيم (٢/ ٩٤).

(١٠) سنن أبي داود (١/ ١٢٧) برقم ٤٦٦، والبيهقي في الدعوات الكبير (١/ ١٢٩) برقم ٦٨، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ص: ٢، بترقيم الشاملة آليا) برقم ٤٦٦، وصحيح الجامع (٢/ ٨٦٠) برقم ٤٧١٥.

(١١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٦٢٧).

(١٢) أثر رواه الطبري عن ابن عباس في معنى العظيم، وانظر تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٤/ ٥٤٤).

(١٣) تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٢/ ١٩٢).

(وَبِوَجْهِهِ) وصفة الوجه ثابتة لله –عز وجل– على وجه يليق بجلاله وعظمته، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [١]، (الْكَرِيمِ) ومعنى الكريم: الجواد المُعطي الذي لا ينفذ عطاؤه؛ وهو الكريم المُطلق، والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل [٢].

(وَسُلْطَانِهِ) أَيْ: غَلَبَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَقَهْرِهِ عَلَى مَا أَرَادَ مِنْ خَلْقِهِ (الْقَدِيمِ) أَيِ: الْأَزَلِيِّ الْأَبَدِيِّ [٣]، الذى لا أوّل له [٤].

فالله عَزَّ وجَلَّ يوصف بأنه (ذو سلطان)، قال ابن القيم رحمه الله في النونية:

هو أول هو آخر هو ظاهر ... هو باطن هي أربع بوزان

ما قبله شيء كذا ما بعده ... شيء تعالى الله ذو السلطان [٥].

قال الشيخ عبد المحسن العباد: السلطان صفة من صفات الله، وهي صفة سلطته وملكوته وعظمته وغلبته؛ لأنه لا يُستعاذ بمخلوق، والحديث جاء فيه الاستعاذة بالله عز وجل وبصفاته، وأما كلمة (القديم) فالمقصود بها الأزلي، يعني: الذي صفاته وقدرته وغلبته وقهره ليس لها بداية، فهو متّصفٌ بذلك أزلاً، ولكن ليس من أسماء الله القديم، ولكن هذا وصفٌ لقهره وغلبته بأنها أزلية [٦].

(مِنَ الشَّيْطَانِ) مَأْخُوذٌ مِنْ شَطَنَ أَيْ بَعُدَ يَعْنِي: الْمَبْعُود مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ (الرَّجِيمِ) فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ أَيِ: الْمَطْرُودِ مِنْ بَابِ اللَّهِ، أَوِ الْمَشْتُومِ بِلَعْنَةِ اللَّهِ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ خَبَرٌ مَعْنَاهُ الدُّعَاءُ يَعْنِي: اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ وَسْوَسَتِهِ وَإِغْوَائِهِ وَخُطُوَاتِهِ وَخَطَرَاتِهِ وَتَسْوِيلِهِ وَإِضْلَالِهِ فَإِنَّهُ السَّبَبُ فِي الضَّلَالَةِ وَالْبَاعِثُ عَلَى الْغَوَايَةِ وَالْجَهَالَةِ [٧].

---

(١) [الشورى: ١١].

(٢) شرح أبي داود للعيني (٢/ ٣٧٥).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٦٢٧).

(٤) المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود (٤/ ٧٦).

(٥) نونية ابن القيم = الكافية الشافية (ص: ٢٠٣).

(٦) شرح سنن أبي داود ـ عبد المحسن العباد (٣/ ٢٥٦).

(٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٦٢٧).

قوله: [بِسْمِ اللَّهِ، وَالصَّلَاةُ] [وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ] عند الدخول وعند الخروج.

البسملة، والصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– عند ابن السني من حديث أنس.

والسلام على النبي –صلى الله عليه وسلم–، وطلب فتح أبواب الرحمة عند ابن ماجه من حديث أبي هريرة.

نص الحديثين: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «**بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ**» . وَإِذَا خَرَجَ قَالَ: «**بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ**» [(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، **فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلْيَقُلْ: **اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**، وَإِذَا خَرَجَ، **فَلْيُسَلِّمْ** عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلْيَقُلْ: **اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** " [(٢)].

قوله: [بِسْمِ اللَّهِ، وَالصَّلَاةُ] [وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ].

أو يقول: «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ».

(بِسْمِ اللَّهِ) أي: بسم الله أدخل، وبسم الله أخرج.

[وَالصَّلَاةُ] [وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ]

معنى الصلاة: من الله على الرسول هي: الثناء عليه في الملأ الأعلى، كما ذكر البخاري في كتابه الصحيح معلقًا: قَالَ أَبُو العَالِيَةِ: "صَلاَةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلاَئِكَةِ، وَصَلاَةُ المَلاَئِكَةِ الدُّعَاءُ" [(٣)]. وإذا وقعت الصلاة من البشر فهي طلب الثناء عليه من الله تعالى.

(١) عمل اليوم والليلة لابن السني (ص: ٨٠) رقم ٨٨، وحسنه الألباني في تخريج الكلم الطيب (ص: ٩١) رقم ٦٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (١/ ٢٥٤) برقم ٧٧٣، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (٢/ ٣٤٥، بترقيم الشاملة آليا) برقم ٧٧٣، ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص: ٧٧) برقم ٨٦، لكنه قال: "وإذا خرج فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، وليقل: اللهم أعذني من الشيطان الرجيم". وقال ابن مكرم في حديثه: «واعصمني»»، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٥/ ٣٩٩) برقم ٢٠٥٠، غير أنه قال "اللهم أجرني من الشيطان الرجيم"، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٣/ ٤٤٨) برقم ٢٠٤٥.

(٣) صحيح البخاري (٦/ ١٢٠).

ومعنى السلام: قال العثيمين: قيل: إنَّ المراد بالسَّلامِ: اسمُ اللهِ عزّ وجل؛ لأن النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلاَمُ» (١) كما قال عزّ وجل في كتابه: {الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ} (٢)، وبناءً على هذا القول يكون المعنى: أنَّ الله على الرَّسول صلّى الله عليه وسلّم بالحِفظ والكَلاءة والعناية وغير ذلك، فكأننا نقول: اللَّهُ عليك، أي: رقيب حافظ مُعْتَنٍ بك، وما أشبه ذلك.

وقيل: السلام: اسم مصدر سَلَّمَ بمعنى التَّسليم كما قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (٣) فمعنى التسليم على الرسول صلّى الله عليه وسلّم: أننا ندعو له بالسَّلامة مِن كُلِّ آفة.

إذا قال قائل: قد يكون هذا الدُّعاء في حياته عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ واضحاً، لكن بعد مماته كيف ندعو له بالسَّلامةِ وقد مات صلّى الله عليه وسلّم؟

فالجواب: ليس الدُّعاءُ بالسَّلامة مقصورًا في حال الحياة، فهناك أهوال يوم القيامة، ولهذا كان دعاء الرُّسل إذا عَبَرَ النَّاسُ على الصِّراط: «اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ» (٤)، فلا ينتهي المرءُ مِن المخاوف والآفات بمجرد موته.

إذاً؛ ندعو للرَّسول صلّى الله عليه وسلّم بالسَّلامةِ من هول الموقف، ونقول أيضاً: قد يكون بمعنى أعم، أي: أنَّ السَّلامَ عليه يشمَلُ السَّلامَ على شرعِه وسُنَّتِهِ، وسلامتها من أن تنالها أيدي العابثين؛ كما قال العلماءُ في قوله تعالى: {فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} (٥)، قالوا: إليه في حياته، وإلى سُنَّتِهِ بعد وفاته (٦).

(١) صحيح البخاري (١/ ١٦٦) برقم ٨٣١، صحيح مسلم (١/ ٣٠١) برقم ٥٥ -(٤٠٢).

(٢) [الحشر: ٢٣].

(٣) [الأحزاب: ٥٦].

(٤) صحيح البخاري (١/ ١٦٠) ٨٠٦، صحيح مسلم (١/ ١٦٥) ٢٩٩ - (١٨٢).

(٥) [النساء: ٥٩].

(٦) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٣/ ١٤٩ : ١٥٠)

قوله: (اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أبْوَابَ رَحْمَتِكَ). **عند دخول المسجد**

وقوله: (اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ مِنْ فَضْلِكَ) **عند الخروج من المسجد.**

نص الحديث: وعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ، أَو عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ" [(١)].

(اللَّهُمَّ) أي: يَا الله (افْتَحْ لِي) بفَضْلِك وإحسانك [(٢)] (أبْوَابَ رَحْمَتِكَ) أي: أنواع رحمتك [(٣)]. التي وسعت كل شيء وعمَّت كل حيّ، فإنه لا يملكهما إلا أنت. قال تعالى: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [(٤)].

قوله: (اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ مِنْ فَضْلِكَ) أَي: من إحسانك [وعطائك] وَزِيَادَة إنعامك، ومن رزقك الحلال [(٥)].

لماذا نسأل الله عز وجل الرحمة عند الدخول، والفضل عند الخروج ؟

قال ابن الجوزي: إِنَّمَا خصت الرَّحْمَة بالدُّخُول لِأَن الدَّاخِل طَالب للآخرة، وَالرَّحْمَة أخص مَطْلُوب، وَخص الْفضل بِالْخرُوجِ، لِأَن الْإِنْسَان يخرج من الْمَسْجِد لطلب المعاش فِي الدُّنْيَا وَهُوَ الْمُرَاد بِالْفَضْلِ، وَكَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى: {وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ}[(٦)] [(٧)].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٩٤) برقم ٦٨ - (٧١٣).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٩٢).

(٣) شرح أبي داود للعيني (٢/ ٣٧٤).

(٤) [فاطر: ٢].

(٥) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٩٢)، المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود (٤/ ٧٤)، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٩/ ٢٩٦).

(٦) {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [الجمعة: ١٠].

(٧) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ١٣٦).

وقال الطيبي: لعل السر في تخصيص ذكر الرحمة بالدخول والفضل بالخروج أن من دخل اشتغل بما يزلفه إلي الله وإلي ثوابه وجنته، فناسب أن يذكر الرحمة، فإذا خرج انتشر في الأرض ابتغاء فضل الله من الرزق الحلال، فناسب الفضل كما قال الله تعالي: {فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} [(١)].

قوله: (اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) عند الخروج من المسجد

(اللَّهُمَّ) يا الله (اعْصِمْنِي) احفظني ؛ والعصمة: الحفظ ودفعُ الشر [(٢)]، والْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ؛ بِأَنْ حَمَاهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْهَلَاكِ أَوْ مَا يَجُرُّ إِلَيْهِ، يُقَالُ: عَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ الْمَكْرُوهِ وَقَاهُ وَحَفِظَهُ، وَاعْتَصَمْتُ بِاللَّهِ؛ لَجَأْتُ إِلَيْهِ [(٣)]. (مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) من وسوسته وإغوائه.

قال بدر الدين العيني: الشيطان: فَيْعَالٌ: مِنْ شَطَنَ أَيْ: بَعُدَ، [وَمَعْنَاهُ: الْمُبْعَدُ مِنْ رَحْمَةِ الله، الْمُحْتَرِق بِغَضَبِ الله]. وقيل: فَعْلَانٌ: مِنْ شَاطَ يشيط أَيْ: هَلَكَ [وَاحْتَرَقَ]. وقال ابن عباس: الشيطان: كل متمرّد من الجن والإنس والدوابّ. وَالرَّجِيمُ: فعيل بمعنى مفعول أي: المرجوم بشُهب السماء، واللَعنة [(٤)].

* * * * *

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٩٣٥).

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٧/ ٤٥٨٠).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٥٠١).

(٤) شرح أبي داود للعيني (٢/ ٣٧٥) بتصرف.

قال المصنف رحمه الله:

١٥ – أَذكَارُ الأَذَانِ[١]

٢٢ – يَقُولُ مِثْلَ مَا يَقُولُ المُؤَذِّنُ إلاَّ فِي ((حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ وَحَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ)) فَيقُولُ: ((لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ)).

نص الحديث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ المُؤَذِّنُ**» [٢].

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، **ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ" [٣].

قوله: (**إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ**) أي: الأذان. (**فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ المُؤَذِّنُ**) والمُراد أنْ يقولَ عَقِبَ كلِّ كلمةٍ مثلَها، لا الكلَّ عند فَراغ الكُلِّ بدليل قوله: (يَقُولُ)، ولم يقُل: (قال) [٤].

قال النووي فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ عَامٌّ مَخْصُوصٌ لِحَدِيثِ عُمَرَ أنه يقول في الحيعلتين لاحول وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ [٥].

---

(١) الأذان: هو التعبد لله بالإعلام بدخول وقت الصلاة بذكر مخصوص. موسوعة الفقه الإسلامي (٢/ ٣٨٧)، لمحمد بن إبراهيم التويجري.

(٢) صحيح البخاري (١/ ١٢٦) برقم ٦١١، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا سَمِعَ المُنَادِي، وصحيح مسلم (١/ ٢٨٨) برقم ١٠ - (٣٨٣).

(٣) صحيح مسلم (١/ ٢٨٩) برقم ١٢ - (٣٨٥). بَابُ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَسْأَلُ لَهُ الْوَسِيلَةَ.

(٤) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (٣/ ٤٤٩).

(٥) شرح النووي على مسلم (٤/ ٨٧).

- والمثلية هنا ليست في الهيئة والكيف، ولكن في اللفظ فقط؛ لأن المؤذن يقول بصوت مرتفع ليسمع الآخرين، ولكن نحن إذا كنا في المسجد أو في الطريق أو في البيت أو في أي مكان إنما نحكي قول المؤذن لأنفسنا لا للغير؛ لأننا لا ننادي أحداً يأتي إلينا [(١)].

(الله أكبر) أي: الله أعظم، وعمله أوجب، فاستعملوا بعمله واتركوا غيره [(٢)].

(أَشْهَدُ) أَيْ: أَعْلَمُ بِالْجِنَانِ وَأُبَيِّنُ بِاللِّسَانِ (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، أَيْ: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللَّهُ [(٣)].

(أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ) أي: أَعْلَمُ وأُبَيِّنُ وأخبر قطعًا وجزمًا بأن محمدًا رسول الله مرسل من عند الله تعالى[(٤)].

(حَيّ على الصَّلَاة): أَي هلموا إِلَى الصَّلَاة وَأَقْبلُوا إِلَيْهَا [(٥)]. فإن "حي" بمعنى هَلُمَّ وأَقْبِلْ، وهي اسم لفعل الأمر [(٦)].

(حَيَّ عَلَى الفَلَاح) أي: هلم إلى عمل يوجب لك البقاء الدائم في الجنة، ومنه: قوله تعالى {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} [(٧)] قيل: هم الفائزون. وقيل: الباقون في النعيم [(٨)].

(لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ) أي: هذا أمر عظيم لا أستطيع مع ضعفي القيام به إلا إذا وفقني الله بحوله وقوته [(٩)].

---

(١) شرح بلوغ المرام لعطية سالم (٤٤/ ٥، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) شرح ابن ماجه لمغلطاي (ص: ١١١١).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٧٣٢).

(٤) نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار (٣/ ١٥).

(٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ٩٧).

(٦) الشافي في شرح مسند الشافعي (١/ ٤٢٠).

(٧) [المؤمنون: ١].

(٨) مطالع الأنوار على صحاح الآثار (٥/ ٢٤٣).

(٩) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (٣/ ٤٨٥).

لماذا نُجيبُ المؤذن عند الحيعلتين بــلا حول ولا قوة إلا بالله ولا نقول مثله حي على الصلاة، حي على الفلاح ؟

قال ابن القيم: وَهَدْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي صَحَّ عَنْهُ إِبْدَالُهُمَا بِالْحَوْقَلَةِ، وَهَذَا مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ الْمُطَابِقَةِ لِحَالِ الْمُؤَذِّنِ وَالسَّامِعِ، فَإِنَّ كَلِمَاتِ الْأَذَانِ ذِكْرٌ، فَسُنَّ لِلسَّامِعِ أَنْ يَقُولَهَا، وَكَلِمَةُ الْحَيْعَلَةِ دُعَاءٌ إِلَى الصَّلَاةِ لِمَنْ سَمِعَهُ، فَسُنَّ لِلسَّامِعِ أَنْ يَسْتَعِينَ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ بِكَلِمَةِ الْإِعَانَةِ وَهِيَ "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ [١].

(ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ)

قال القاضي عياض: لأن فى حكايته لما قال المؤذن من التوحيد والإعظام، والثناء على الله، والاستسلام لطاعته، وتفويض الأمور إليه بقوله عند الحيعلتين: "لا حول ولا قوة إلا بالله..." ، وإذ هى دعاء وترغيب لمن سمعها، فإجابتها لا تكون بلفظها بل بما يُطابقها من التسليم والانقياد، بخلاف إجابة غيرها من الثناء والتشهدين بحكايتهما، وإذا حصل هذا للعبد فقد حاز حقيقة الإيمان وجماع الإسلام واستوجب الجنة [٢].

* * * * *

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٣٥٦).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢/ ٢٥٣).

قال المصنف رحمه الله:

٢٣ - يقُولُ: ((**وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالْإِسْلاَمِ دِيناً**)).

نص الحديث: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ **أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ**» قَالَ ابْنُ رُمْحٍ فِي رِوَايَتِهِ "مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: **وَأَنَا أَشْهَدُ**" وَلَمْ يَذْكُرْ قُتَيْبَةُ قَوْلَهُ: وَأَنَا [(١)].

قوله: (**يَقُولُ ذَلِكَ عَقِبَ تَشَهُّدِ الْمُؤَذِّنِ**).

نص الحديث: عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "**مَنْ سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ يَتَشَهَّدُ** فَالْتَفَتَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" [(٢)].

قال العثيمين: وفي قوله: «**وأنا أشهد**» دليلٌ على أنه يقولها عقب قول المؤذِّن: «أشهد أنْ لا إله إلا الله»، لأنَّ الواو حرف عطف، فيعطِفُ قولَه على قولِ المؤذِّن. فإذاً؛ يوجد ذِكْرٌ مشروع أثناء الأذان [(٣)].

(**رَضِيتُ بِاللهِ**) أي: قنعتُ به، واكتفيتُ به، ولم أطلب معه غيره.

(**رَبًّا**) تَمْيِيزٌ؛ أَيْ: بِرُبُوبِيَّتِهِ وَبِجَمِيعِ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، فَإِنَّ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ بَابُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ،

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٢٩٠) برقم ١٣ -(٣٨٦)، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل له الوسيلة.

(٢) صحيح ابن خزيمة (١/ ٢٢٠) برقم ٤٢٢، وقال الأعظمي محقق الكتاب: إسناده جيد اهـ وروى الطحاوي بسنده في شرح معاني الآثار (١/ ١٤٥) عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ يَتَشَهَّدُ ...» اهـ قال الألباني في: الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب (١/ ١٨٣) وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات مترجم لهم في (تهذيب التهذيب) وفيه هذه الزيادة التي تعين متى يقال هذا الدعاء وهو حين يتشهد المؤذن. وهي زيادة عزيزة قلما توجد في كتاب فتشبث بها.

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٢/ ٨٦).

وَقِيلَ حَالٌ؛ أَيْ مُرَبِّيًا وَمَالِكًا وَسَيِّدًا وَمُصْلِحًا.

(وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا) أي: رضيتُ بمحمد رسولًا إِلَيَّ وإلى سائر المكلفين، ورضيت بِجَمِيعِ مَا أُرْسِلَ بِهِ وَبَلَّغَهُ إِلَيْنَا مِنَ الْأُمُورِ الِاعْتِقَادِيَّةِ وَغَيْرِهَا.

(وَبِالْإِسْلَامِ) أَيْ: بِجَمِيعِ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي

(دِينًا) أي: رضيت بالإسلام دينًا بمعنى: لم أسَع في غير طريق الإسلام، ولم أسلك إلا ما يُوافق شرع محمد –عليه السلام–، أو لم أبتغ غير الإسلام دينًا، اعْتِقَادًا أَوِ انْقِيَادًا [(١)].

* * * * *

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٥٦٢)، شرح أبي داود للعيني (٢/ ٤٨٥) بتصرف.

قال المصنف رحمه الله:

٢٤ - ((يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ إِجَابَةِ الْمُؤَذِّنِ)).

نص الحديث: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ **ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ**، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ» [(١)].

السنة بعد أن ينتهي سامع الأذان من حكاية المؤذن أن يصلي ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم سرًا كما حكى ألفاظ المؤذن، وكذلك المؤذن حينما يفرغ من الأذان بصوته العالي الذي ينادي به الناس، يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سراً ليكون ممتثلاً، وكما يقول السامع للأذان ذلك، كذلك أيضاً المؤذن، ويقول –ما علمنا صلى الله عليه وسلم– مثل السامع: (آت محمدًا الوسيلة والفضيلة) [(٢)].

(**ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ**) أي بعد الفراغ من الإجابة صَلُّوا عَلَيَّ [(٣)].

وَأَكْمَلُ مَا يُصَلَّى عَلَيْهِ بِهِ وَيَصِلُ إِلَيْهِ هِيَ الصَّلَاةُ الْإِبْرَاهِيمِيَّةُ، كَمَا عَلَّمَهُ أُمَّتَهُ أَنْ يُصَلُّوا عَلَيْهِ، فَلَا صَلَاةَ عَلَيْهِ أَكْمَلُ مِنْهَا [(٤)].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٢٨٨) برقم ١١ - (٣٨٤)، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل له الوسيلة.

(٢) شرح بلوغ المرام لعطية سالم (٤٤/ ٩، بترقيم الشاملة آليا).

(٣) نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار (٣/ ١٠٤).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٣٥٧).

ولها صيغ مختلفة، منها:
عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلاَمُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ الصَّلاَةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: " قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ" [١].

(فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً) أَيْ: صلاة وَاحِدَةً (صَلَّى الله عَلَيْهِ) أَيْ: أَعْطَاهُ (بِهَا عَشْرًا).
قال الملا علي القاري: مَا يَفْعَلُهُ الْمُؤَذِّنُونَ الْآنَ عَقِبَ الْأَذَانِ مِنَ الْإِعْلَانِ بالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ مِرَارًا أَصْلُهُ سُنَّةٌ، وَالْكَيْفِيَّةُ بِدْعَةٌ لِأَنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ فِي الْمَسْجِدِ وَلَوْ بِالذِّكْرِ فِيهِ كَرَاهَةٌ، سِيَّمَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِتَشْوِيشِهِ عَلَى الطَّائِفِينَ وَالْمُصَلِّينَ وَالْمُعْتَكِفِينَ [٢].

(ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ) ، قال القاضى: فسَّرها فى الحديث أنها منزلةٌ فى الجنة، قال أهل اللغة: الوسيلة: المنزلة عند الملك، وهى مشتقة - والله أعلم - من القرب، توسَّل الرجلُ للرجل بكذا إذا تقرَّب إليه، وتوسَّل إلى ربه بطاعته تقرَّب إليه بها [٣].

(فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ) لماذا سميت هذه المنزلة من الجنة بالوسيلة ؟ قال الطيبي: لأن الواصل إليها يكون قريبًا من الله تعالي فائزًا بلقائه، مخصوصًا من بين سائر الدرجات بأنواع المكرمات [٤].

(لَا تَنْبَغِي) أي: هذه الوسيلة لا يليق إعطاؤها
(إِلَّا لِعَبْدٍ) واحدٍ؛ عظيم، كما يفيده التنكير
(مِنْ عِبَادِ الله) الذين هم أصفياؤه وخلاصة خواص خلقه (وَأَرْجُو) أي أؤمل.

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٢٠) ٤٧٩٧.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٥٥٨).
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢/ ٢٥٢).
(٤) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٩١١).

(أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ) أي: أنا ذلك العبد وذكره على طريق الترجي تأدبًا وتشريعًا، لأنه إذا كان أفضل الأنام فلمن يكون ذلك المقام [١].

(فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ) أي طلبها لي من الله وهو مسلم [٢]

(حَلَّتْ لَهُ) معناه: نالته وحصلت له ووجبت [٣].

قال ابن الأثير: وقِيلَ: هِيَ بِمَعْنَى غَشِيَتْه ونَزَلت بِهِ [٤]

(الشَّفَاعَةُ) أي: شفاعتي.

*** * * * ***

(١) فيض القدير (١/ ٣٨٤)، التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ١٠٨).

(٢)السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير (١/ ١٤٠).

(٣) فتح الباري لابن رجب (٥/ ٢٧٥).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٣٢).

قال المصنف رحمه الله:

٢٥ – يقُولُ: ((اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ، [إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ])).

نص الحديث: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ" [١].

(اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ) أي: صاحب هذه الدعوة [٢]، قال العثيمين: «ربّ» هنا بمعنى صاحب الدَّعوة الذي شرعها، ولو كانت «ربّ» بمعنى خالق، أشكل علينا؛ لأنَّ هذه الدَّعوة فيها أسماء الله وهي غير مخلوقة؛ لأنها من الكلام الذي أخبر به عن نفسه، وكلامه غير مخلوق، لكن لو فَسَّرنا «ربّ» بمعنى خالق؛ على إرادة اللفظ الذي هو فعل المؤذِّن، فهذا لا إشكال فيه [٣].

(هَذِهِ الدَّعْوَةِ) هي: ألفاظ الأذان، وسمِّي الأذانُ دعوة؛ لأنه يدعو الناس إلى الصلاةِ والذكرِ [٤].

(التَّامَّةِ) سميت بذلك؛ لكمالها وعظم موقعها، فلا نقص فيها ولا عيب؛ لانتفاء الشركة فيه [٥].

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١٢٦) برقم ٦١٤، وأما زيادة [إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ المِيعَادَ] فهي عند البيهقي في الدعوات الكبير (١/ ١٠٨) برقم ٤٩، والسنن الكبرى للبيهقي أيضا (١/ ٦٠٤) برقم ١٩٣٣، وقال الشيخ الألباني عن هذه الزيادة (زيادة: "إنك لا تخلف الميعاد" في آخر الحديث عند البيهقي ... شاذة؛ لأنها لم ترد في جميع طرق الحديث عن على بن عياش، اللهم إلا في رواية [الكُشْمِيْهَنِيُّ] لصحيح البخاري خلافًا لغيره فهي شاذة أيضًا لمخالفتها لروايات الآخرين للصحيح، وكأنه لذلك لم يلتفت إليها الحافظ ، فلم يذكرها في "الفتح" على طريقته في جمع الزيادات من طرق الحديث ويؤيد ذلك أنها لم تقع في "أفعال العباد" للبخاري والسند واحد ، ووقعت هذه الزيادة في الحديث في كتاب "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة" لشيخ الإسلام ابن تيمية في جميع الطبعات (ص ٥٥) طبعة المنار الأولى ، و (ص ٣٧) الطبعة الثانية منه و (ص ٤٩) الطبعة السلفية ، والظاهر أنها مدرجة من بعض النساخ ، والله أعلم. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١/ ٢٦١) الحديث رقم ٢٤٣.

(٢) شرح أبي داود للعيني (٢/ ٤٩٢).

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٢/ ٨٧).

(٤) المفاتيح في شرح المصابيح (٢/ ٤٩)

(٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٦/ ٣٣٩).

وقال الطيبي: قيل: إنما وَصَف الدعوة بالتمام لأنها ذكر الله – عز وجل– يدعى بها إلي عبادته، وهذه الأشياء وما والاها هي التي تستحق صفة الكمال والتمام، وما سوى ذلك من أمور الدنيا يعرض النقص والفساد. ويحتمل أنها وُصِفت بالتمام لكونها محمية عن النسخ والإبدال، باقية إلي يوم التناد [١].

وقال الحافظ في الفتح: (هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ) وَالْمُرَادُ بِهَا دَعْوَةُ التَّوْحِيد، كَقَوْلِه تَعَالَى {لَهُ دَعْوَةَ الْحق}، وَقِيلَ: لِدَعْوَةِ التَّوْحِيدِ تَامَّةٌ لِأَنَّ الشَّرِكَةَ نَقْصٌ، أَوِ التَّامَّةُ الَّتِي لَا يَدْخُلُهَا تَغْيِيرٌ وَلَا تَبْدِيلٌ بَلْ هِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ، أَوْ لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَسْتَحِقُّ صِفَةَ التَّمَامِ وَمَا سواهَا فمعرض لِلْفَسَاد، وَقَالَ بن التِّينِ: وُصِفَتْ بِالتَّامَّةِ لِأَنَّ فِيهَا أَتَمَّ الْقَوْلِ وَهُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ [٢].

(وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ) المراد بها: التي أُذِّن لها [٣] أي: التي تقوم أي: تُقام وتفعل بصفاتها، وقيل: إنها الدعاء بالنداء؛ لأن الدعاء يُسمى صلاة [٤]، وقيل (الْقَائِمَةِ) أي الدائمة التي لا تغيرها ملة، ولا تنسخها شريعة [٥]. لأنه لا دينَ ولا نبيَّ بعد محمد عليه السلام.

(آتِ) أي أعط (مُحَمَّدًا) –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–
(الْوَسِيلَةَ) أي: المنزلة العلية في الجنة التي لا تنبغي إلا له
(وَالْفَضِيلَةَ) المرتبة الزائدة على سائر المخلوقين (وَابْعَثْهُ) أي: أرسله وأوصله.
(مَقَامًا مَحْمُودًا) أي: ابعثه يوم القيامة فأقمه مقامًا يحمد القائم فيه

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٩١٣).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٩٥).

(٣) التحبير لإيضاح معاني التيسير (٥/ ١٦٣).

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٦/ ٣٣٩)، وقال ابن حجر: المُرَادُ بِالصَّلَاةِ المَعْهُودَةِ المَدْعُوِّ إِلَيْهَا حِينَئِذٍ. انظر فتح الباري لابن حجر (٢/ ٩٥).

(٥) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٩١٣).

(**الَّذِي وَعَدْتَهُ**) بقولك سبحانك {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} وهو مقام الشفاعة العظمى [(١)]، وأطلق عليه الوعد؛ لأن "عسى" من الله تعالى واقع [(٢)].

وجاء في نهاية الحديث؛ قوله – صلى الله عليه وسلم – في جزاء من قالها:
(**حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ**) أي: استحقت ووجبت أو نزلت عليه.

* * * * *

(١) كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: ٧٩] وَسُئِلَ عَنْهَا قَالَ: «هِيَ الشَّفَاعَةُ» رواه الترمذي في سننه وحسنه (٥/ ٣٠٣) برقم ٣١٣٧.

(٢) انظر المفاتيح في شرح المصابيح (٢/ ٤٩)، شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢/ ٩).

قال المصنف رحمه الله:

٢٦ - ((يَدْعُو لِنَفسِهِ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقامَةِ فَإِنَّ الدّعَاءَ حِينَئِذٍ لاَ يُرَدّ)).

نص الحديث: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ**»[1].

(**يَدْعُو لِنَفسِهِ**) وَيَسْأَلَ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهُ يُسْتَجَابُ له بإذن الله جل وعلا، ففي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْمُؤَذِّنِينَ يَفْضُلُونَنَا، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُلْ كَمَا يَقُولُونَ فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلْ تُعْطَهْ» [2].

قوله: (**الدعاء**) بإطلاقه شامل لكل دعاء، ما لم يكن فيه إثم أو قطيعة رحم أو اعتداء.

(**لَا يُرَدُّ**) إذا تحققت فيه أسباب الإجابة، وانتفت الموانع. (**بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ**) لشرف ذلك الوقت، وإذا كان الوقتُ أشرفَ، يكون ثواب العبادات فيه أكثر[3].

- قد يقول قائل دعوت بين الأذان والإقامة ولم يستجب لي !!

قال ابن القيم رحمه الله: الدُّعَاءُ، ...مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي دَفْعِ الْمَكْرُوهِ، وَحُصُولِ الْمَطْلُوبِ، وَلَكِنْ قَدْ يَتَخَلَّفُ أَثَرُهُ عَنْهُ،

إِمَّا لِضَعْفِهِ فِي نَفْسِهِ –بِأَنْ يَكُونَ دُعَاءً لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْعُدْوَانِ–

وَإِمَّا لِضَعْفِ الْقَلْبِ وَعَدَمِ إِقْبَالِهِ عَلَى اللَّهِ وَجَمْعِيَّتِهِ عَلَيْهِ وَقْتَ الدُّعَاءِ،

فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الْقَوْسِ الرِّخْوِ جِدًّا، فَإِنَّ السَّهْمَ يَخْرُجُ مِنْهُ خُرُوجًا ضَعِيفًا،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه وحسنه (١/ ٤١٦) برقم ٢١٢، وأبو داود في سننه (١/ ١٤٤) برقم ٥٢١، وصححه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١/ ٢٦٢) برقم ٢٤٤، وصحيح سنن الترمذي (١/ ٢١٢، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) سنن أبي داود (١/ ١٤٤) ٥٢٤، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ص: ٢، بترقيم الشاملة آليا) رقم ٥٢٤.

(٣) المفاتيح في شرح المصابيح (٢/ ٥٠).

وَإِمَّا لِحُصُولِ الْمَانِعِ مِنَ الْإِجَابَةِ: مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ، وَالظُّلْمِ، وَرَيْنِ الذُّنُوبِ عَلَى الْقُلُوبِ، وَاسْتِيلَاءِ الْغَفْلَةِ وَالشَّهْوَةِ وَاللَّهْوِ، وَغَلَبَتِهَا عَلَيْهَا [١].

[فلابد من جمع] شروط الدعاء التي منها: حضور القلب، وجمعه بكليته على المطلوب، والخشوع، والانكسار، والتذلل، والخضوع، والاستقبال، وغيرها، وتقديم التوبة والاستغفار والخروج من المظالم والطهارة وغير ذلك، وكثيرًا ما يقع أن يرى إنسان إنسانًا يدعو في وقت فيجاب، فيظن أن السر في ذلك الوقت وفي اللفظ فيأخذه مجردًا عن تلك الأمور التي قارنته من الداعي وهو كما لو استعمل الرجل دواء نافعًا في وقت وحال واستعداد، فنفعه فظن غيره أن استعماله بمجرده كاف فغلط [٢].

* * * * *

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: ٩).

(٢) فيض القدير (٣/ ٥٤١).

قال المصنف رحمه الله:

١٦ - دُعَاءُ الاسْتِفْتَاحِ [١]

٢٧ - ((اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ، بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ)).

نص الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً – قَالَ أَحْسِبُهُ قَالَ: هُنَيَّةً – فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: " أَقُولُ: **اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ**" [٢].

(**إِسْكَاتَةً**) أراد بهذا السكوت ترك رفع الصوت بالكلام؛ ألا تراه يقول ما تقول في إسكاتك، أي: سكوتك عن الجهر دون السكوت عن القراءة والقول [٣]. (**هُنَيَّةً**) أي: شيئًا يسيرًا من الوقت.

(**بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ**) أَيْ فَديتُك بِأَبِي وَأُمِّي، أو أَنْتَ مُفَدًّى بِأَبِي وَأُمِّي [٤].

---

(١) أي: افتتاح الصلاة؛ بعد تكبيرة الإحرام وقبل قراءة الفاتحة.

(٢) صحيح البخاري (١/ ١٤٩) ٧٤٤، واللفظ له، وصحيح مسلم (١/ ٤١٩) ١٤٧ -(٥٩٨).

(٣) الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي (١/ ٢٣٣).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٠).

(اللَّهُمَّ) يا الله (بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ) جمع خطيئة؛ وهي الذنب.

والمراد بالمباعدة محو ما وقع من الذنوب والحفظ مما سيقع منها [١]. أي إذا قدر لي ذنب أو خطيئة "فبَعِّد" بيني وبينها [٢]. بألطافك حتى لا أقربها.

(كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) أي: باعد بيني وبين الذنوب ما أحييتني، فلا يبقى لها اتصال بي، كما لا يتصل المشرق بالمغرب، وإنما عبر بذلك لاستحالة إلتقاء المشرق والمغرب.

(اللهُمَّ نَقِّنِي) أَيْ: طَهِّرْنِي ونظفني (مِنَ الخَطَايَا) الَّتِي تُدَنِّسُ الْقُلُوبَ وَتُسَوِّدُهَا (كَمَا يُنَقَّى) كما يُنَظَّف (الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ) أي: من الدَّرَنِ وَالْوَسَخِ؛ وَقَدْ تَدَنَّسَ الثَّوبُ: أي: اتَّسخ.

لماذا شبه نظافة الذات من الذنوب بنظافة الثوب الأبيض من الدنس ؟

وشبه نظافة ذاته من الذنوب بنظافة الثوب الأبيض من الدنس؛ لأن زوال الدنس في الثوب الأبيض أظهر، بخلاف سائر الألوان؛ فإنه ربما يبقى فيه أثر الدنس بعد الغسل، ولم يظهر ذلك لمانع فيه بخلاف الأبيض، فإنه يظهر كل أثر فيه؛ والقصد من هذا التشبيه؛ أن يقلع من الذنوب بالكلية، كقلع الدنس من الثوب الأبيض، بحيث لم يبق فيه أثر ما.

(اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ) أي: طهرني من الخطايا بأنواع مغفرتك، التي هي في تمحيص الذنوب بمثابة هذه الأنواع الثلاثة في إزالة الأرجاس، ورفع الجنابة والأحداث.

(١) المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود (٥/ ١٩٤).

(٢) مجمع بحار الأنوار (١/ ١٩٢).

ويحتمل أنه يسأل الله تعالى أن يغسل خطاياه بهذه الأنواع التي يستعملها المتطهرون لرفع الأحداث؛ والمعنى: كما جعلتها سببًا لحصول الطهارة، فاجعلها سببًا لحصول المغفرة؛ وبيان ذلك في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ – أَوِ الْمُؤْمِنُ – فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ – أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ –، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ –، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ – أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ – حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ» [١] [٢].

* * * * *

(١) صحيح مسلم (١/ ٢١٥) برقم ٣٢ - (٢٤٤).

(٢) الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي (١/ ٢٣٣).

قال المصنف رحمه الله:

٢٨ – ((سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبارَكَ اسْمُكَ، وَتَعالَى جَدُّكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ)).

نص الحديث: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، كَانَ يَجْهَرُ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ يَقُولُ: «**سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**» [١].

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ، قَالَ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**» [٢].

(**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ**) تسبيحًا لك يا الله أي: تنزيهًا لك يا الله، عن كل ما لا يليق بجلالك وعظمتك، فأنت منزه عن كل عيب، سالم من كل نقص، مستحق لكل ثناء وحمد.

(**وَبِحَمْدِكَ**) أَيْ: وَبِحَمْدِكَ سَبَّحْتُكَ، أي بفضلك وهدايتك لي سَبَّحْتُكَ، ووفِّقْتُ لذلك، لَا بِحَوْلِي وَقُوَّتي.

(**وَتَبَارَكَ اسْمُكَ**) تفاعل [من الْبركَة كَمَا يُقَال: تَعَالَى اسْمك من الْعُلُوّ يُرَاد بِهِ: أَن الْبركَة فِي اسْمك وَفِيمَا سمي عَلَيْهِ]
أَيْ: [تعاظم اسمك] وكَثُرَتْ بَرَكَةُ اسْمِكَ [في السماوات والأرض] إِذْ وُجدَ كُلُّ خَيْرٍ مِنْ ذِكْرِ اسْمِكَ، وبركَةُ الِاسْم تَابِعَة لبركة الْمُسَمّى وَلِهَذَا كَانَ قَوْله تَعَالَى {فَسَبِّحْ باِسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} دَلِيلا على أَن الْأَمر بتسبيح الرب، بطريق الأولى فَإِن تَنْزِيه الِاسْم من تَوَابِع تَنْزِيه الْمُسَمّى [٣].

(١) صحيح مسلم (١/ ٢٩٩) برقم ٥٢ - (٣٩٩).

(٢) سنن أبي داود (١/ ٢٠٦) ٧٧٦، كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (ص: ٢، بترقيم الشاملة آليا) برقم ٧٧٦.

(٣) انظر جلاء الأفهام (ص: ٣٠٧)، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٦٧٧)، المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود (٥/ ١٨٧).

قوله: ((**وَتَعَالَى جَدُّكَ**)) أَيْ: عَلاَ جَلاَلُك وعظَمَتُك [١]. على كل شَيْء [غاية العُلوّ والرِّفعة]، وَالْجَد: العظمة، يُقَال جَدَّ فلَان فِي النَّاس أَي: عظم فِي عيونهم وَجلَّ فِي صُدُورهمْ [٢]. أَوْ تَعَالَى غِنَاكَ عَنْ أَنْ يَحْتَاجَ لِأَحَدٍ، أَوْ أَنْ يَلْتَجِئَ إِلَيْهِ مُفْتَقِرٌ وَيَرْجِعَ خَائِبًا [٣].

(**وَلَا إِلَهَ غَيْرَكَ**) : أي لا مستحق للعبودية سواك سبحانك وتعاليت [٤].

* * * * *

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٤٤).

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ١٧٠).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩١٩).

(٤) شرح سنن الترمذي - الشنقيطي (٧/ ٢٩٤).

قال المصنف رحمه الله:

٢٩ – ((وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاَتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ المَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعاً إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الأَخْلاقِ لاَ يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ)).

نص الحديث: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»، وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ: «اللهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي»، وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: «اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ»، وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: «اللهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» (١).

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٣٤) برقم ٢٠١ - (٧٧١)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

قوله: (وَجَّهْتُ وَجْهِي) أي: أخلصت ديني وعملي وقصدي، وَأَفْرَدْتُ عِبَادَتِي لله وحده، قال القرطبي: وجهت وجهي؛ أي: صوَّبت وجهي، وأخلصت في عبادتي.

(لِلَّذِي فَطَرَ[1] السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) أَيْ: خَلَقَهُمَا وَابْتَدَعَهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ. [والمراد بذلك أنه خلق العالم كله]. (حَنِيفًا) أَيْ: فِي حَالِ كَوْنِي حَنِيفًا، [وأصل الحنف الميل] أَيْ: مَائِلًا عَنِ الشِّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[2]. وهذا بيان للحنيف، وإيضاح لمعناه.

و(المشرك) يُطلق على كل كافر من عابد وثن وصنم ويهودي، ونصراني، ومجوسي، ومرتدٍّ، وزنديق ... وغيرهم.

(إِنَّ صَلَاتِي) : الفريضة، والنافلة، ويدخل في ذلك الدعاء: دعاء العبادة، ودعاء المسألة، قال الأزهري: الصلاة اسم جامع للتكبير والقراءة والركوع والسجود والدعاء والتشهد والثناء على الله عز وجل[3]. (وَنُسُكِي): ذبحي، وقيل مناسك الحج، ويطلق النسك على الذبح، وعلى مناسك الحج، على حسب ورود الكلام المراد. (والنّسك: فِي الأَصْل غَايَة الْعِبَادَة، وشاع فِي الْحَج لما فِيهِ من الكلفة والبعد عَن الْعَادة. والناسك: العابد الذي يخلص عبادة الله ولا يشرك به، ... والمناسك مواقف النسك وأعمالها. والنسيكة الذبيحة)[4].

(وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي) أي: وحياتي وموتي له، هو خالقها ومدبرهما، لا تصرف لغيره فيهما[5]. أو (مَحْيَايَ، وَمَمَاتِي) أي: حياتي وموتي، يعني: ما أعمل فيهما[6]. وما آتيه في حياتي وأموت عليه من الإيمان والعمل الصالح، (لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) خالصة لوجهه (لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ) [أَيْ: بِالتَّوْحِيدِ الْكَامِلِ وَالشَّامِلِ لِلْإِخْلَاصِ قَوْلًا وَاعْتِقَادًا] (أُمِرْتُ) من الله تعالى (وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[7]. أي: من المستسلمين لأمر الله، الخاضعين له، المنقادين لطاعته.

---

(١) وفَطَرَ فلانٌ البِئْرَ: إذا أنْشَأَ حَفْرَها. حلية الفقهاء (ص: ٧٨).

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ٢٩١).

(٣) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (ص: ٦١).

(٤) انظر الكليات لأبي البقاء الحنفي (ص: ٩١٠)، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص: ٣٢٤).

(٥) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (١/ ٢٨٣).

(٦) لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٥٧٩).

(٧) شرح أبي داود للعيني (٣/ ٣٥٩).

(اللهُمَّ) يا الله (أَنْتَ الْمَلِكُ) لَا مُلْكَ وَلَا مِلْكَ لِغَيْرِك، والملك من أسماء الله الحسنى، فهو الذي جميع العوالم العلوية والسفلية مماليك وعبيد له، وله السلطان التام عليهم، والتصرف المطلق فيهم، والتدبير لهم كما يشاء.

(لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) أي: لا معبود بحق إلا أنت. "ولا معروفٌ بهذه المعرفة سواك [١]. وليس لنا معبود نتذلل له ونتضرع إليه في غفران ذنوبنا إلا أنت [٢].

(أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ) أي: أنت ربي الذي خلقتني وربيتني بالنعم وتفضلت عليَّ بالإحسان، [فكما أنه لا شريك لك في الملك والخلق، فلا أشرك معك في العبادة أحدًا] فأنت الرب، وأنا العبد الخاضع المستكين لك وحدك لا شريك لك [٣].

(ظَلَمْتُ نَفْسِي) بأن أوردها موارد المعاصي. (وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي) والاعتراف بالذنب بمنزلة الرجوع منه، قدمه على سؤال المغفرة أدبًا، كما قال آدم وحواء – صلوات الله عليهما وسلامه: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.

(فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ) وهذا فيه الاعتراف بأن الله وحده هو الذي يغفر الذنوب، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده، قال تعالى: {وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ}[٤]، (وَاهْدِنِي) أَيْ: دُلَّنِي وَوَفِّقْنِي وَثَبِّتْنِي وَأَوْصِلْنِي (لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ) أي: لأكملها وأفضلها وصوابها ووفقني للتخلق بها. (لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ) فَإِنَّكَ أَنْتَ الْهَادِي الْمُطْلَقُ وَعَجْزُ الْخَلْقِ أَمْرٌ مُحَقَّقٌ. (وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا) أَيْ: سَيِّئَ الْأَخْلَاقِ أي: قبيحها. (لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ) فَإِنَّ غَيْرَكَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى شَيْءٍ.

(لَبَّيْكَ) مِنْ لَبَّ بِالْمَكَانِ: أَقَامَ فِيهِ، أَيْ: إِجَابَةٌ لَكَ بَعْدَ إِجَابَةٍ، أَوْ إِقَامَةٌ عَلَى طَاعَتِكَ بَعْدَ إِقَامَةٍ [٥].

(وَسَعْدَيْكَ) أَيْ: سَاعَدْتُ طَاعَتَكَ يَا رَبِّ مُسَاعَدَةً بَعْدَ مُسَاعَدَةٍ، وَهِيَ الْمُوَافَقَةُ وَالْمُسَارَعَةُ، أَوْ:

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٣٩٩).

(٢) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (٤/ ٤٠٠).

(٣) شرح سنن أبي داود للعباد (١٠٠/ ١٠، بترقيم الشاملة آليا).

(٤) [آل عمران: ١٣٥].

(٥)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٥١٤)

أَسْعَدُ بِإِقَامَتِي عَلَى طَاعَتِكَ وَإِجَابَتِي لِدَعْوَتِكَ سَعَادَةً بَعْدَ سَعَادَةٍ [١]. قال القسطلاني: أي أسعدني إسعادًا بعد إسعاد [٢].

(**وَالْخَيْرُ كُلُّهُ**) بأنواعه الدينية والدنيوية؛ من خيري الدنيا والآخرة على كثرة تنوعه (**فِي يَدَيْكَ**) لا يصلُ منه شيء لأحد إلا بإعطائك، فلا مانعَ لما أعطيتَ، ولا معطيَ لما منعتَ [٣].

(**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**) أي: والشر لا يُتقرَّب به إليك أو: لا يصعد إليك، إنما يصعد الكلم الطيب. أو: لا يُضاف إليك أدبًا؛ فلا يقال: يا خالق الشر، وإن كان خالقه، كما لا يقال: يا خالق الخنازير، وإن كان خالقها. أو: ليس شرًّا بالنسبة إلى حكمتك؛ فإنك لا تخلق شيئًا عبثًا. والله أعلم.

قال الخطابي: معنى هذا الكلام: الإرشادُ إلى استعمال الأدب في الثناء على الله تعالى، والمدحِ لهُ بأنْ تضافَ إليهِ محاسِنُ الأمُورِ دوْنَ مساوئِهَا [٤].

(**أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ**) أَي: الْتِجَائِي وَانْتِمَائِي إِلَيْكَ وَتَوْفِيقِي بِكَ [٥]. أو: بك وُجدت وإليك ينتهى أمرى فأنت المبدأ والمنتهى وبك أحيا وأموت وإليك المصير [٦].

(**تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ**) أى: تكاثر خيرك وتزايد برّك وتنزّهت عن النقائص واتصفت بالكمالات [٧].

(**أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**) الاستغفار: طلب المغفرة، والتوبة: الرجوع من الذنب والإخلاص في الترك، والندم على الفائت.

* * * * *

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٦٧٣).

(٢) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ٣٤٠).

(٣) كشف اللثام شرح عمدة الأحكام (٤/ ١٣٦).

(٤) شأن الدعاء (١/ ١٥٣).

(٥) شرح النووي على مسلم (٦/ ٥٩).

(٦) المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود (٥/ ١٧٠).

(٧) المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود (٥/ ١٧٠).

قال المصنف رحمه الله:

٣٠ - ((اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)).

نص الحديث: عن أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «**اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**» [١].

قوله: (اللهُمَّ) بمعنى: يا الله، والميم المشددة عوض من: يـا (رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ)

قال ابن القيم: فتوسّل إليه سبحانه بربوبيته العامة والخاصة لهؤلاء الأملاك الثلاثة الموكلين بالحياة: فجبريل موكّل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكّل بالقَطْر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكّل بالنفخ في الصّور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم [٢].

لماذا خصَّ هؤلاء الملائكة بالذكر مع أنَّ اللَّه تَعَالَى هو رَبٌّ كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ؟

قال النووي: قال الْعُلَمَاءُ: خَصَّهُمْ بِالذِّكْرِ وَإِنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى رَبَّ كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ؛ كَمَا تَقَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مِنْ نَظَائِرِهِ مِنَ الْإِضَافَةِ إِلَى كُلِّ عَظِيمِ الْمَرْتَبَةِ وَكَبِيرِ الشَّأْنِ، دُونَ مَا يُسْتَحْقَرُ وَيُسْتَصْغَرُ؛ فَيُقَالُ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، وَرَبَّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، رَبَّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبَّ الْمَغْرِبَيْنِ، رَبَّ النَّاسِ، مَالِكَ النَّاسِ، إِلَهَ النَّاسِ، رَبَّ الْعَالَمِينَ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، رَبَّ النَّبِيِّينَ، خَالِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، جَاعِلَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا،

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٣٤) ٢٠٠ - (٧٧٠)، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٢) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ط عالم الفوائد (٢/ ٨٤٤).

فَكُلُّ ذَلِكَ وَشَبَهُهُ وَصْفٌ لَهُ سُبْحَانَهُ بِدَلَائِلِ الْعَظَمَةِ، وَعَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَالْمُلْكِ، وَلَمْ يُسْتَعْمَلْ ذَلِكَ فِيمَا يُحْتَقَرُ وَيُسْتَصْغَرُ، فَلَا يُقَالُ رَبُّ الْحَشَرَاتِ وَخَالِقَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَشِبْهَ ذَلِكَ عَلَى الْإِفْرَادِ، وَإِنَّمَا يُقَالُ خَالِقَ الْمَخْلُوقَاتِ وَخَالِقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَحِينَئِذٍ تَدْخُلُ هَذِهِ فِي الْعُمُومِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ [١].

(فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي: مبدعهما وخالقهما عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابق.

(عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أي: ما غاب عن العباد وما شاهدوه.

(أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ) يوم القيامة بِالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُحِقِّ وَالْمُبْطِلِ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ (فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) أَيْ: مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فِي أَيَّامِ الدُّنْيَا [٢].

(اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ) أي: وفقني إلى الحق الذي اختُلف فيه وثبتني عليه، وهذا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}.

(بِإِذْنِكَ) أي: بتيسيرك وفضلك ومنتك.

(إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) إنك تُرشد من تشاء من خلقك بتوفيقك فتهديه إلى "طريق الحقّ الذي لا اعوجاج فيه، وهو دين الإسلام، وسُمّي صراطًا؛ لأنه موصلٌ للمقصود كما أن الطريق الحسيّ كذلك، والجملة تعليل لطلب الهداية منه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛ أي: لأنك تهدي من تشاء. . . إلخ " [٣].

* * * * *

---

(١) شرح النووي على مسلم (٦/ ٥٧).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩١٦).

(٣) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (١٦/ ٨٥).

قال المصنف رحمه الله:

٣١ - ((اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)) ثَلاثاً ((أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ: مِنْ نَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ، وَهَمْزِهِ)).

نص الحديث كاملًا: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنَ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟» قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ذَلِكَ» [(١)].

رواية أخرى للحديث: وعَنِ ابْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي صَلَاةً – قَالَ عَمْرٌو [(٢)]: لَا أَدْرِي أَيَّ صَلَاةٍ هِيَ – فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ثَلَاثًا، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ»، قَالَ: نَفْثُهُ الشِّعْرُ، وَنَفْخُهُ الْكِبْرُ، وَهَمْزُهُ الْمُوتَةُ [(٣)].

(اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا) أَيْ كَبَّرْتُ كَبِيرًا، أي: أُعظِّم الله وأجله بعبادته وتوحيده وتقديسه.

ويجوز أن يكون حالاً مؤكدة، أو مصدرًا بتقدير تكبيرًا كبيرًا.

(وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا) أي: أحمده حمدًا كثيرًا؛ يليق بجلاله وجماله، فله الحمد في الأولى والآخرة.

(وَسُبْحَانَ اللَّهِ) تنزيه الله عما لا يليق به من كل سوء ونقص.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٢٠) برقم ١٥٠ -(٦٠١)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة.

(٢) عَمْرو بْن مُرَّةَ؛ أحد رواة الحديث.

(٣) أخرجه أبو داود، ١/ ٢٠٣، برقم ٧٦٤، وابن ماجه، ١/ ٢٦٥، برقم، ٨٠٧، وأحمد، ٤/ ٨٥، برقم ١٦٧٣٩، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند: ((حسن لغيره))، وقال عبد القادر الأرناؤوط في تخريجه للكلم الطيب لابن تيمية، برقم ٧٨: ((وهو حديث صحيح بشواهده))، وذكره الألباني في صحيح الكلم الطيب، برقم ٦٢، وأخرجه مسلم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - بنحوه، وفيه قصة، ١/ ٤٢٠، برقم ٦٠١. [تحقيق المؤلف].

(بُكْرَةً وأصيلًا) أي: في أول النهار وآخره.

وقال الطِّيبي: خُصَّا بالذكر لاجتماع ملائكة الليل والنهار فيهما. وأقول: الأظهر أن يقال: يراد بهما الدوام، كما في قوله تعالي: {وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}[1]، أراد دوام الرزق وورود[2].

(أَعُوذُ بِاللَّهِ) ألجأ إليه وأتحصن به.

(مِنَ الشَّيْطَانِ) قال ابن كثير: وَمَعْنَى أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، أَيْ: أَسْتَجِيرُ بِجَنَابِ اللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، أَنْ يَضُرَّنِي فِي دِينِي أَوْ دُنْيَايَ، أَوْ يَصُدَّنِي عَنْ فِعْلِ مَا أُمِرْتُ بِهِ، أَوْ يَحُثَّنِي عَلَى فِعْلِ مَا نُهِيتُ عَنْهُ؛

فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يكفُّه عَنِ الْإِنْسَانِ إِلَّا اللَّهُ؛ وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِمُصَانَعَةِ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَمُدَارَاتِهِ بِإِسْدَاءِ الْجَمِيلِ إِلَيْهِ، لِيَرُدَّهُ طَبْعُهُ عمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَذَى،

وَأَمَرَ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْ شَيْطَانِ الْجِنِّ لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ رَشْوَةً وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ جَمِيلٌ؛ لِأَنَّهُ شِرِّيرٌ بِالطَّبْعِ وَلَا يَكُفُّهُ عَنْكَ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُ، ......[قال تعالى] {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}، فَهَذَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمُعَامَلَةِ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْبَشَرِ، ثُمَّ قَالَ: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[3]...... والشيطان فِي لُغَةِ الْعَرَبِ مُشْتَقٌّ مِنْ شَطَنَ إِذَا بَعُدَ، فَهُوَ بَعِيدٌ بِطَبْعِهِ عَنْ طِبَاعِ الْبَشَرِ، وَبَعِيدٌ بِفِسْقِهِ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ[4].

(مِنْ نَفْخِه) فسرها الراوي بالكبر؛ فقال: (وَنَفْخُهُ الْكِبْرُ) وَإِنَّمَا فُسِّرَ النَّفْخُ بِالْكِبْرِ لِأَنَّ المتكبر يتعاظم لاسيما إِذَا مُدِحَ. قال الطيبي: النفخ كناية عن الكبر، كَأَنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفُخُ بِالْوَسْوَسَةِ ، فَيُعَظِّمُهُ فِي عَيْنِه ، وَيُحَقِّرُ النَّاسَ عِنْدَهُ[5].

(وَنَفْثِه) والنفث في اللغة: قذف الريق وهو أقل من التفل. وفسره الراوي بالشعر؛

---

(١) [مريم: ٦٢].

(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٩٩٣).

(٣) [الأعراف: ١٩٩، ٢٠٠].

(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ١١٤ : ١١٥).

(٥) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٩٩٤).

قال (نَفْثُهُ الشِّعْرُ): والمقصود به الشعر المذموم؛ وهو إشارة إلى ذم من يهيم في أودية الشعر، فتارة يمدح، وتارة يقدح، وتارة يمرح، وأخرى يتغزل، وهذا من تلاعب الشياطين.
قال ابن الجوزي: وَإِنَّمَا سُمِّيَ نفثًا: لِأَن الْإِنْسَان ينفثه من فِيهِ، وأُضِيفَ إِلَى الشَّيْطَان لقلَّةِ الصَّوَاب فِيهِ .[1]

(وَهَمْزِهِ) فسرها الراوي بالْمُوتَة؛ فقال: (وَهَمْزُهُ الْمُوتَةُ) والمراد بها هنا الجنون.
قال أبو عبيد: فالموتة الْجُنُون، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ همزًا، لِأَنَّهُ جعله من النخس والغمز، وكل شَيْء دَفعته، فقد همزته [2].
قال الطيبي: (الْمُوتَةُ) .... ضرب من الجنون والصرع يعتري الإنسان، فإذا أفاق عاد إليه كمال عقله كالنائم والسكران ..... قال: إن كان هذا التفسير من متين الحديث فلا معدل عنه، وإن كان من بعض الرواة فالأنسب أن يُرادَ بالنفث السحر؛ فإنه أشبه لقوله تعالي: {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ} وأن يُراد بالهمز الوسوسة، لقوله تعالي: {وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ}.
وهمزات الشياطين خطراتها، ... وفسرت الآية بأن الشياطين يحثون أولياءهم على المعاصي، ويغرونهم عليها [3].

* * * * *

(١) غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٤٢٢).

(٢) غريب الحديث للقاسم بن سلام (٣/ ٧٨).

(٣) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٩٩٤).

قال المصنف رحمه الله:

٣٢ – ((اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، [وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ] [وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ] [وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ] [وَلَكَ الْحَمْدُ] [أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمحمَّدٌ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ] [اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حاكَمْتُ. فَاغْفِرْ لِي ما قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ] [وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي] [أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ] [أَنْتَ إِلَهِي لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ] [وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ])) [(١)].

نص الحديث: عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: "اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ – أَوْ: لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ – " قَالَ سُفْيَانُ: وَزَادَ عَبْدُ الكَرِيمِ أَبُو أُمَيَّةَ: «وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ: سَمِعَهُ مِنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(٢)].

(أَنْتَ نُورُ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ) (أي: منوّرهما، وبك يَهتدي من فيهما، وقال القرطبيُّ:

---

(١) البخاري، كتاب التهجد، باب التهجد من الليل، برقم ١١٢٠، ورقم ٦٣١٧، ورقم ٧٣٨٥، ورقم ٧٤٤٢، ورقم ٧٤٩٩، ومسلم مختصراً بنحوه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ١/ ٥٣٢، برقم ٧٦٩. [تخريج المؤلف].

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٤٨) برقم ١١٢٠، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل وقوله عز وجل: {ومن الليل فتهجد به نافلة لك}.

أي: منوّرهما في قول الحسن، دليله قراءة عليّ –رضي اللَّه عنه–: "اللَّه نَوّرَ السموات" بفتح النون، والواو مشدّدة، وقال ابن عباس –رضي اللَّه عنهما–: هادي أهلهما، وقال مجاهد: مُدبّرهما، وقيل: المعنى أنت المنزّه [في السموات والأرض] عن كل عيب، يقال: فلان مُنَوَّر؛ أي: مبرّأ من كل عيب، ويقال: هو اسمُ مَدْحٍ، تقول: فلان شمس الزمان، ونُورُ البلد؛ أي: مزيّنه، كما قال النابغة [من الطويل]:

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ ... إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

وقال آخر [من الطويل]:

إِذَا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ فِي مَرْوَ لَيْلَةً ... فَقَدْ سَارَ فِيهَا نُورُهَا وَجَمَالُهَا

وقال أبو العالية: مُزَيِّن السموات بالشمس، والقمر، والنجوم، ومزيّن الأرض بالأنبياء، والأولياء، والعلماء. انتهى) [١].

قال السعدي: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} الحسي والمعنوي، وذلك أنه تعالى بذاته نور، وحجابه –الذي لولا لطفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه– نور، وبه استنار العرش، والكرسي، والشمس، والقمر، والنور، وبه استنارت الجنة. وكذلك النور المعنوي يرجع إلى الله، فكتابه نور، وشرعه نور، والإيمان والمعرفة في قلوب رسله وعباده المؤمنين نور. فلولا نوره تعالى، لتراكمت الظلمات، ولهذا: كل محل، يفقد نوره فثم الظلمة والحصر [٢].

(**أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**) أي: الدائمُ القيامِ بتدبيرهنَّ، وتدبيرِ ما فيهنَّ، وحفظِ ذلك، يقال فيه: قَيِّم وقَيّام وقَيُّوم [٣]. قال ابن الملقن: أي: أنت القائم على كل نفسٍ بما كسبت وخالقها ورازقها ومميتها ومحييها. وقيل في معنى: {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} أفمن هو حافظ على كل نفس لا يغفل ولا يمل، فالمعنى: الحافظ لهما ومن فيهن [٤].

---

(١) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (١٦/ ٦٨).

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٦٨).

(٣) مصابيح الجامع (٣/ ١٢٣).

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٩/ ١٧).

(أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) قال العيني: خصهما بِالذكر لِأَنَّهُمَا من أعظم المشاهدات، وَمعنى: الرب فِي اللُّغَة يُطلق على الْمَالِك وَالسَّيِّد وَالْمُدبر والمربي والمتمم والمنعم
وَلَا يُطلق غير مُضَاف إلاَّ على الله تَعَالَى، وَإِذا أطلق على غَيره أضيف فَيُقَال: رب كَذَا [١].

(أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) أي: المتصرف فيهما تصرفًا كليًا، ظاهرًا وباطنًا، فهو الملك والمالك على الحقيقة.
(أَنْتَ الحَقُّ) الحق اسم من أسماء الله – تعالى، وصفة من صفاته، قال النووي: قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْحَقُّ فِي أَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعْنَاهُ: الْمُتَحَقِّقُ وُجُودُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ صَحَّ وُجُودُهُ وَتَحَقَّقَ فَهُوَ حَقٌّ، وَمِنْهُ الْحَاقَّةُ أَيِ الْكَائِنَةُ حَقًّا بِغَيْرِ شَكٍّ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، أَيْ: كُلُّهُ مُتَحَقِّقٌ لَا شَكَّ فِيهِ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: خَبَرُكَ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَقِيلَ: أَنْتَ صَاحِبُ الْحَقِّ، وَقِيلَ: مُحِقُّ الْحَقِّ، وَقِيلَ: الْإِلَهُ الْحَقُّ دُونَ مَا يَقُولُهُ الْمُلْحِدُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ} [٢].

(وَوَعْدُكَ الْحَقُّ) أي: الثابت الصادق لا يمكن التخلف فيه؛ قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}. فكل ما وعدت به في كتابك، وعلى ألسنة رسلك، واقع لا شك ولا مرية في ذلك، قال تعالى {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} [٣].

(وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ) أي: واقع كائن لا محالة، وهذا فيه الإقرار بالبعث بعد الموت.

(وَقَوْلُكَ الْحَقُّ): أي لا مرية في صدقه: {وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ} [٤] قال ابن بطال: يعني قولك الصدق والعدل.

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٢/ ٣٠٣).
(٢) شرح النووي على مسلم (٦/ ٥٥).
(٣) [يونس: ٥٥]، [الروم: ٦٠]، [لقمان: ٣٣]، [فاطر: ٥]، [غافر: ٥٥]، [غافر: ٧٧]، [الجاثية: ٣٢]، [الأحقاف: ١٧].
(٤) [الأحزاب: ٤].

(وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ) وهذا فيه الإقرار بالجنة والنار، وأنهما مخلوقتان وموجودتان الآن. كما أخبر الله عز وجل بذلك، أنهما معدَّتان لأهلهما، فهما دار البقاء، وإليهما مصير العباد. فقال عن الجنة {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} وقال عن النار {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} فاللهم إنا نسألك الجنة، ونعوذ بوجهك من النار ... آمين [١].

(وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ) أي: حق في أنهم من عند الله – تعالى – وأنهم أنبياء الله تعالى ورسله وعبيده. وأنهم جميعًا صادقون، وبالوحي مؤيدون، وأنهم بلَّغوا أمر الله وشرعه على أكمل وجه، فلم يكتموا، أو يغيروا، وأنهم اتفقوا جميعًا على الدعوة إلى التوحيد: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}.

(وَمحمَّدٌ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَقٌّ) أي: حق في نبوته ورسالته، وأنه عبد الله ورسوله إلى العرب والعجم [والإنس والجن، ولا نبي بعده]، وإنما أفرد نفسه بالذكر، وإن كان داخلاً في النبيين، تنبيهًا على شرفه وفضله.

قال العيني: إِنَّمَا خصَّ مُحَمَّدًا من النَّبِيِّينَ، وَإِن كَانَ دَاخِلا فيهم، وَعطفه عَلَيْهِم إيذانًا بالتَّغَايُر، وَأَنه فائق عَلَيْهِم بِأَوْصَافٍ مُخْتَصَّةٍ بِهِ، [فَإِنَّ تَغَايُرَ الْوَصْفِ يُنَزَّلُ مَنْزِلَةَ تَغَايُرِ الذَّات، ثُمَّ تَجَرَّدَ عَنْ ذَاتِهِ كَأَنَّهُ غَيْرُهُ]، فَوَجَبَ عَلَيْهِ الْإِيمَان بِهِ وَتَصْدِيقُهُ، وَهَذَا مُبَالغَة فِي إِثْبَات نبوته، كَمَا فِي التَّشَهُّد [٢].

(وَالسّاعَةُ حَقٌّ) أي: واقعة كائنة لا محالة، والمراد من الساعة هو يوم القيامة والحشر والنشر.

(اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ) أي: استسلمت وانقدتُ وخضعت لحكمك وأطعت لأمرك ونهيك.

(وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ) أي: فوَّضت أمري إليك، واعتمدتُ في كل شأني عليك.

(وَبِكَ آمَنْتُ) أي: صدقت بك وبكل ما أخبرت وأمرت ونهيت. وفيه إشارة إلى الفرق بين الإيمان والإسلام.

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله بن محمد الغنيمان (١/ ١٧٩) بتصرف.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٧/ ١٦٧)، ونقله الملا علي القاري: عن ميرك وانظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩١٥).

والإيمان: قول، وعمل، واعتقاد؛ قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

(وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ) أي: تبت ورجعت وأقبلت بهمتي وطاعتي إليك، وأعرضت عما سواك.

والإنابة: الرجوع إلى الله بالتوبة.

(وَبِكَ خَاصَمْتُ) قال أبو العباس القرطبي: أي: بإعانتك وتعليمك، وبكلامك جادلت المخالفين فيك حتى خصمتهم[1]. وقال النووي: أَيْ: بِمَا أَعْطَيْتنِي مِنَ الْبَرَاهِينِ وَالْقُوَّةِ خَاصَمْتُ مَنْ عَانَدَ فِيكَ وَكَفَرَ بِكَ وَقَمَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ وَبِالسَّيْفِ[2].

(وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ) أَيْ: كُلَّ مَنْ جَحَدَ الْحَقَّ حَاكَمْتُهُ إِلَيْكَ وَجَعَلْتُكَ الْحَاكِمَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، لَا غَيْرُكَ مِمَّا كَانَتْ تَحَاكَمُ إِلَيْهِ الْجَاهِلِيَّةُ وَغَيْرُهُمْ، مِنْ صَنَمٍ وَكَاهِنٍ وَنَارٍ وشيطان وغيرها، فلا أرضى إلا بحكمك، وَلَا أَعْتَمِدُ غَيْرَهُ[3].

(فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ) قبل هذا الوقت (وَمَا أَخَّرْتُ) عنه، أي: من الذنوب.

(وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ) أي: ما أخفيت وأظهرت، أو ما حدثت به نفسي، وما تحرك به لساني من المعاصي والذنوب.

(وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي) يحْتَمل وَجْهَيْن: أَحدهمَا: مَا قد نَسِيته من الزلل. وَالثَّانِي: مَا هُوَ خطأ عنْدك وَأَنا لَا أعلم أَنه خطأ[4].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٤٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (٦/ ٥٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (٦/ ٥٥).

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ٣٣٦).

- ومعلوم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – مغفور له ومعصوم عن الذنوب؛ فيكون هذا تواضعًا منه وهضمًا لنفسه، ويجوز أن يكون تعليمًا لأمته، وإرشادًا إلى طريق الدعاء؛ لأنهم غير معصومين ومبتلون بالذنوب، والتقصير في الطاعة.

(أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ) أي: المنزل الأشياء منازلها، تقدم ما شئت من مخلوقاتك وتؤخر، وتقدم مَنْ شئت مِنْ عبادك بتوفيقك، وتؤخر مَنْ شئت بخذلانه [١].

والأولى: أنه تعالى مُقَدِّمُ كُلَّ مقدَّم في الدنيا والآخرة، وَمُؤَخِّرُ كُلَّ مُؤَخَّرٍ في الدنيا والآخرة[٢].

(أَنْتَ إِلَهِي، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ) أي: أنت معبودي لا معبود بحق غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك.

(وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ).وهذا فيه (إشارة إلى أنه لا توجد قابضة حركة ولا قابضة سكون في خير وشر إلا بأمر الله التابع لمشيئته: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.

* * * * *

(١) مطالع الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٢١١).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٤٨).

قال المصنف رحمه الله:

١٧ - دُعَاءُ الرُّكُوعِ

٣٣ - ((سُبْحانَ رَبِّيَ الْعَظِيم)). ثلاثَ مرَّاتٍ.

نَصُّ الحديث: عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، وَفِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، وَمَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ عِنْدَهَا فَسَأَلَ، وَلَا بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ عِنْدَهَا فَتَعَوَّذَ [١].

ولفظ ابن ماجه: عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا رَكَعَ: **«سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ [٢].

(**سُبْحانَ رَبِّيَ الْعَظِيم**) أي: أنزه وأقدس ربي الذي له جميع معاني العظمة والجلال، من كل النقائص، ومما لا يليق بجلاله وكماله وعظمته.

قوله: (**ثلاثَ مرَّاتٍ**) أي: يقول هذا الذكر أثناء الركوع ثلاث مرات أو أكثر.

ويستحب أهل العلم ألا ينقص الإنسان في الركوع والسجود من ثلاث تسبيحات فهي أدنى الكمال. والمقصود من الثلاث، الطمأنينة، لا كمن ينقر الصلاة وهو لاه قلبه، عابث في ثيابه وأعضائه.

*****

(١) سنن أبي داود (١/ ٢٣٠) برقم ٨٧١، وصححه الألباني.

(٢) سنن ابن ماجه (١/ ٢٨٧) برقم ٨٨٨، وصححه الألباني.

قال المصنف رحمه الله:

٣٤ – ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي)).

نص الحديث: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: **سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي** " يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ [(١)].

(**سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ**) أي: سبحتك ونزهتك، بحمدك وتوفيقك لي، لا بحولي وقوتي.

(**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي**) أي: يا الله أمح ذنبي، وأزل أثره، وقني شرّه.

(**يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ**) أي: يعمل بما أمر به في القرآن، كما في قوله تعالى {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا }.

فائدة: بوَّب البخاري رحمه الله على هذا الحديث: باب الدعاء في الركوع.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله معلقًا على تبويب البخاري: "قِيلَ الْحِكْمَةُ فِي تَخْصِيصِ الرُّكُوعِ بِالدُّعَاءِ دُونَ التَّسْبِيحِ مَعَ أَنَّ الْحَدِيثَ وَاحِدٌ أَنَّهُ قَصَدَ الْإِشَارَةَ إِلَى الرَّدِّ عَلَى مَنْ كَرِهَ الدُّعَاءَ فِي الرُّكُوعِ كَمَالِكٍ، وَأَمَّا التَّسْبِيحُ فَلَا خِلَافَ فِيهِ فَاهْتَمَّ هُنَا بِذِكْرِ الدُّعَاءِ لِذَلِكَ وَحُجَّةُ الْمُخَالِفِ الْحَدِيثُ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسلم من رِوَايَة بن عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا وَفِيهِ فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ لَكِنَّهُ لَا مَفْهُومَ لَهُ فَلَا يَمْتَنِعُ الدُّعَاءُ فِي الرُّكُوعِ كَمَا لَا يَمْتَنِعُ التَّعْظِيمُ فِي السُّجُودِ وَظَاهِرُ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ هَذَا الذِّكْرَ كُلَّهُ فِي الرُّكُوعِ وَكَذَا فِي السُّجُودِ [(٢)].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) صحيح البخاري (١/ ١٥٨) برقم ٧٩٤، و صحيح مسلم (١/ ٣٥٠)، برقم ٢١٧ - (٤٨٤) واللفظ لمسلم.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٨١).

قال المصنف رحمه الله:

٣٥ - ((سُبُّوحٌ، قُدُّوسٌ، رَبُّ المَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ)).

نص الحديث: عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، أَنَّ عَائِشَةَ نَبَّأَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ **سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**» [(١)].

قوله: (سُبُّوحٌ) أي: المبرَّأُ والمتره عن النقائص والشريك، وكل ما لا يليق به سبحانه وتعالى.

من سَبَّحتُ اللهَ تعالى؛ أي: نزهتُهُ.

قوله: (قُدُّوسٌ) المطهر من كل عيب، ومن كل ما لا يليق، العظيم في التراهة عن كل ما يُستقبح.

قوله: (رَبُّ الْمَلَائِكَةِ) أي مالكهم وخالقهم ومدبرهم ومصلح أحوالهم [(٢)].

قوله: (وَالرُّوحِ) والرُّوح هنا: جبريل – عليه السلام –؛ كما قال: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ} [(٣)]، وخَصَّه بالذكر وإن كان من الملائكة؛ تشريفًا وتخصيصًا؛ كما قال تعالى: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ} [(٤)] فخصَّهما بالذكر تشريفًا لهما [(٥)].

وسمي جبريل روحًا: لأنه كان يترل بالوحي الذي به حياة القلوب.

وقيل: هو روح الخلائق التي بها حياهم وبقاؤهم [(٦)]. أي: رب الملائكة، ورب الروح، والله أعلم.

* * * * *

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٣٥٣) برقم ٢٢٣ - (٤٨٧).

(٢) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٧/ ٣٨٦).

(٣) [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

(٤) [البقرة: ٩٨].

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٩١).

(٦) جامع الأصول (٤/ ١٩٢).

قال المصنف رحمه الله:

١٨ – دُعَاءُ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ

٣٨ – ((سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ)).

نص الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا قَالَ الإِمَامُ: **سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**، فَقُولُوا: **اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ**، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلاَئِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" [١].

قوله: (**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**) أي استجاب الله دعاء من حَمِدَه [٢]. فالسمع هنا سمع قبول وإجابة.

قال الصنعاني: (**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**) أَيْ: أَجَابَ اللَّهُ مَنْ حَمِدَهُ، فَإِنَّ مَنْ حَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى مُتَعَرِّضًا لِثَوَابِهِ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، وَأَعْطَاهُ مَا تَعَرَّضَ لَهُ، فَنَاسَبَ بَعْدَهُ أَنْ يَقُولَ [٣]: رَبَّنَا وَلَك الْحَمْدُ.

(**اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ**) أي: اللهم يا ربنا لك الحمد على هدايتنا [٤].

والحمد هو: وصف المحمود بصفات الكمال مع المحبة والتعظيم.

(**فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلاَئِكَةِ**) أي: فمن وافق حَمْدُهُ حَمْدَ الملائكة [٥]، وفي حديث آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ، فَأَمِّنُوا، **فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ**

(١) صحيح البخاري (١/ ١٥٨)، برقم ٧٩٦.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (١/ ٢٣٨).

(٣) سبل السلام (١/ ٢٦٧).

(٤) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٧/ ١٤٦).

(٥) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢/ ١٠٩).

تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ –وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ– وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: آمِينَ " [١].

وهذا فِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقُولُ مَا يَقُولُ الْمَأْمُومُونَ [٢].

فقوله: (مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلاَئِكَةِ) أي وافقهم : فِي الْوَقْت وَالزَّمَان،

[فَحَمِد مع تحميدهم، وأمَّن مع تأمينهم] وَقيل: فِي الصّفة والخشوع وَالْإِخْلَاص [٣].

وما الحكمة من موافقة الملائكة ؟

قال ابن حجر: وَقَالَ بن الْمُنِير: الْحِكْمَةُ فِي إِيثَارِ الْمُوَافَقَةِ فِي الْقَوْلِ وَالزَّمَانِ: أَنْ يَكُونَ الْمَأْمُومُ عَلَى يَقَظَةٍ، لِلْإِتْيَانِ بِالْوَظِيفَةِ فِي مَحَلِّهَا، لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا غَفْلَةَ عِنْدَهُمْ، فَمَنْ وَافَقَهُمْ كَانَ مُتَيَقِّظًا [٤].

ومن المرادُ بالملائكة؟ يعني مَن هم الملائكة الذين نوافقهم ؟

قال ابن حجر: ثُمَّ إِنَّ ظَاهِره أَن الْمُرَاد بِالْمَلَائِكَةِ:

جَمِيعهم وَاخْتَارَهُ بن بَزِيزَةَ،

وَقِيلَ الْحَفَظَةُ مِنْهُمْ،

وَقِيلَ الَّذِينَ يَتَعَاقَبُونَ مِنْهُمْ، إِذَا قُلْنَا إِنَّهُمْ غَيْرُ الْحَفَظَةِ،

وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِمْ: مَنْ يَشْهَدُ تِلْكَ الصَّلَاةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِمَّنْ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ.

[لقوله ﷺ «إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ، **وَقَالَتِ المَلائِكَةُ فِي السَّمَاءِ**: آمِينَ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [٥].]

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١٥٦) برقم ٧٨٠، صحيح مسلم (١/ ٣٠٧) برقم ٧٢ - (٤١٠).

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ (١/ ٣٣٣).

(٣) شرح السيوطي على مسلم (٢/ ١٤٠).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٦٥).

(٥) صحيح البخاري (١/ ١٥٦) برقم ٧٨١، من حديث أبي هريرة.

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ عِكْرِمَةَ «قَالَ: صُفُوفُ أَهْلِ الْأَرْضِ عَلَى صُفُوفِ أَهْلِ السَّمَاءِ **فَإِذَا وَافَقَ آمِينَ فِي الْأَرْضِ آمِينَ فِي السَّمَاءِ** غُفِرَ لِلْعَبْدِ»[١] انْتَهَى، وَمِثْلُهُ لَا يُقَالُ بِالرَّأْيِ فَالْمَصِيرُ إِلَيْهِ أَوْلَى [٢].

قَوْلُهُ: (**غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**) ظَاهِرُهُ غُفْرَانُ جَمِيعِ الذُّنُوبِ الْمَاضِيَةِ، وَهُوَ مَحْمُولٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ عَلَى الصَّغَائِرِ [٣]. **[لأن الكبائر لا تكفر إلا بالتوبة.]**.

* * * * *

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٢/ ٩٨) برقم ٢٦٤٨.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٦٥) بتصرف يسير.

(٣) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٦٥).

قال المصنف رحمه الله:

٣٩ - ((رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْداً كَثيراً طَيِّباً مُباركاً فيه)).

نص الحديث: عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، قَالَ: "كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ "، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: **رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ**، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «مَنِ المُتَكَلِّمُ» قَالَ: أَنَا، قَالَ: «رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاَثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ» [١].

قوله: (**رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**).

قد ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في الذكر بعد الرفع من الركوع أربعة أنواع على النحو الآتي:

النوع الأول: (رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ) [٢].

النوع الثاني: (رَبَّنا وَلَكَ الحَمْدُ) [٣].

النوع الثالث: (اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ) [٤].

النوع الرابع: (اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ) [٥].

والأفضل أن يقول كل نوع، فينوِّع: يقول: هذا تارة، وهذا تارة، وهذا تارة [٦]. إحياءً للسنة، وحفظاً لها بوجوهها المتنوعة.

قوله: (**رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**) الحمد: وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم. ومن أسمائه سبحانه وتعالى: الحميد ، أي: المحمود على كل حال.

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١٥٩)، برقم ٧٩٩.

(٢) صحيح البخاري (١/ ١٤٥) برقم ٧٢٢، [وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا **لَكَ** الحَمْدُ].

(٣) صحيح البخاري (١/ ١٤٠) برقم ٦٨٩، [وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا **وَلَكَ** الحَمْدُ].

(٤) صحيح البخاري (١/ ١٥٨) برقم ٧٩٦ [إِذَا قَالَ الإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: **اللَّهُمَّ** رَبَّنَا **لَكَ** الحَمْدُ].

(٥) صحيح البخاري (١/ ١٥٨)، برقم ٧٩٥، [كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، قَالَ: **اللَّهُمَّ** رَبَّنَا **وَلَكَ** الحَمْدُ].

(٦) انظر شرح حصن المسلم لأبي مسلم مجدي بن عبد الوهاب الأحمد بتصحيح مؤلف حصن المسلم (ص: ١٠٥).

(**حَمْدًا كَثِيرًا**) أَيْ: أحمدك حمدًا موصوفًا بالكثرة، [يَتَرَادَفُ مَدَدُهُ وَلَا تَنْتَهِي مُدَدُهُ [(١)]].

قوله: (**طَيِّبًا**) أي: مُنَزَّهًا عن سائر ما ينقصه من رياء أو سمعة أو إخلال بإجلال [(٢)].

قوله: (**مُبَارَكًا فيه**) أي: حمدًا جُعلت البركة فيه؛ يعني: حمدًا كثيرًا غايةَ الكثرة [(٣)]. والْبركَة، هِيَ: الزِّيَادَة.

قال العظيم آبادي : (**مُبارَكًا**) هو وما قبله صفات (لـ **حَمْدًا**) مقدَّرًا.

(**فيه**) الضَّمِيرُ رَاجِعٌ إِلَى الْحَمْدِ أَيْ حَمْدًا ذا بَرَكَةٍ دَائِمًا لَا يَنْقَطِعُ لِأَنَّ نِعَمَهُ لَا تَنْقَطِعُ عَنَّا فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَمْدُنَا غَيْرَ مُنْقَطِعٍ أَيْضًا وَلَوْ نِيَّةً وَاعْتِقَادًا [(٤)].

(**فَلَمَّا انْصَرَفَ**) أي: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ (**قَالَ: «مَنِ الْمُتَكَلِّمُ»**) أي: القائل لهذه الكلمة: "**رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ**".

(**قَالَ: أَنَا**) أَيْ ذَلِكَ الْمُتَكَلِّمُ (**قَالَ: «رَأَيْتُ بِضْعَةً**) البِضْعُ: ما بين الثّلاث إلى التِّسْع [(٥)].

(**وَثَلَاثِينَ مَلَكًا**) قَالَ بعض الْعلمَاء: إِنَّمَا كَانُوا بضعَة وَثَلَاثِينَ؛ لِأَنَّهَا بضعَة وَثَلَاثُونَ حرفًا، فَكلُّ حرفٍ لِمَلَك [(٦)]. (**يَبْتَدِرُونَهَا**) أَيْ: يُسَارِعُونَ فِي كِتَابَةِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ (**أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ»**) أَيْ: يُسْرِعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِيَكْتُبَهَا قَبْلَ الْآخَرِ، وَيُصْعِدُهَا [(٧)]. لِعِظَمِ قَدْرِها.

قال ابن حجر: وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةَ غَيْرُ الْحَفَظَةِ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا "إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ....." [(٨)]. الْحَدِيثَ؛ وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الطَّاعَاتِ قَدْ يَكْتُبُهَا غَيْرُ الْحَفَظَةِ [(٩)].

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٦٧٦).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٥/ ٢٢١).

(٣) شرح المصابيح لابن الملك (١/ ٤٨٨).

(٤) عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٠/ ٢٣٥).

(٥) المسالك في شرح موطأ مالك (٣/ ٤٣٤).

(٦) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ١٦١).

(٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٧١٣).

(٨) صحيح البخاري (٨/ ٨٧) برقم ٦٤٠٨، صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٩) برقم ٢٥ - (٢٦٨٩).

(٩) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٨٦).

قال المصنف رحمه الله:

١٩ - دُعَاءُ السُّجُودِ

٤١ - ((سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى)) ثلاث مرَّاتٍ.

نصّ الحديث: عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، وَفِي سُجُودِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**»، وَمَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ عِنْدَهَا فَسَأَلَ، وَلَا بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ عِنْدَهَا فَتَعَوَّذَ [١].

ولفظ ابن ماجه: عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا رَكَعَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، **وَإِذَا سَجَدَ قَالَ «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ** [٢].

قوله: (سُبْحَانَ): وأصلُ التَّسْبِيحُ: التَّنزيهُ وَالتَّقْدِيسُ وَالتَّبْرئَةُ مِنَ النَّقائِص، ثُمَّ استُعْمِل فِي مواضعَ تقْرُب مِنْهُ اتِّساعا. يُقال سَبَّحْتُهُ أُسبِّحُهُ تَسْبِيحًا وسُبْحَانًا، فَمَعْنَى سُبْحَانَ اللهِ: تَنْزِيه اللهِ، وَهُوَ نَصْب عَلَى الْمَصْدَرِ بفِعْل مُضْمر، كَأَنَّهُ قَالَ: أُبَرِئُ اللَّهَ مِنَ السُّوء بَراءةً. وَقِيلَ مَعْنَاهُ: التَّسرُّع إِلَيْهِ والخِفَّة فِي طاعَته. وَقِيلَ مَعْنَاهُ: السُّرْعة إِلَى هَذِهِ اللَّفْظة [٣].

(رَبِّيَ) الرَّبُّ: يُطْلقُ فِي اللُّغة عَلَى المالِك، وَالسَّيِّدِ، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقَيِّم، والمُنْعِم، وَلَا يُطلَقُ غيرَ مُضاف إلاَّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِذَا أُطلِقَ عَلَى غيره أُضِيف، فَيُقَالُ رَبُّ كَذَا [٤].

(الأَعْلَى): "فمن أسمائه الحسنى (العلي الأعلى) وذلك دال على أن جميع معاني العلو ثابتة لله من كل وجه، فله علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر.

---

(١) سنن أبي داود (١/ ٢٣٠) برقم ٨٧١، وصححه الألباني.

(٢) سنن ابن ماجه (١/ ٢٨٧) برقم ٨٨٨، وصححه الألباني.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٣١).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٧٩).

قال ابن القيم: وهو العلي فكل أنواع العلـــ ... ـــو له فثابتة بلا نكران [(١)].

علو الذات: وهو أنه مستو على عرشه، فوق جميع خلقه، مباين لهم، [قال تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}].وهو مع هذا مطلع على أحوالهم، مشاهد لهم، مدبر لأمورهم الظاهرة والباطنة متكلم بأحكامه القدرية، وتدبيراته الكونية، وبأحكامه الشرعية.

وأما علو القدر: فهو علو صفاته، وعظمتها فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يَقدِرُ الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالى: {وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} وبذلك يعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته.

وله علو القهر: فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلّهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكن، [{سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}] فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأه الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه [(٢)].

فقوله: (سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى) أي: أنزه ربي الذي فوق كل شيء من كل عيب وسوء ونقص.

قوله: (ثلاث مرَّاتٍ) أي: يقولها ثلاث مرات، فهي أدنى الكمال.

واستحب أهل العلم ألا ينقص الإنسان في الركوع والسجود من ثلاث تسبيحات، بل يزيد على ذلك.

لماذا خص الركوع بالعظيم، والسجود بالأعلى؟

وَالْحِكْمَةُ فِي تَخْصِيصِ الرُّكُوعِ بِالْعَظِيمِ، وَالسُّجُودِ بِالْأَعْلَى: أَنَّ السُّجُودَ لَمَّا كَانَ فِيهِ غَايَةُ التَّوَاضُعِ لِمَا فِيهِ مِنْ وَضْعِ الْجَبْهَةِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ الْأَعْضَاءِ عَلَى مَوَاطِئِ الْأَقْدَامِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ الرُّكُوعِ فَحَسُنَ تَخْصِيصُهُ بِمَا فِيهِ صِيغَةُ أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ، وَهُوَ الْأَعْلَى بِخِلَافِ الْعَظِيمِ جَعْلًا لِلْأَبْلَغِ مَعَ الْأَبْلَغِ وَالْمُطْلَقِ مَعَ الْمُطْلَقِ [(٣)].

---

(١) نونية ابن القيم = الكافية الشافية (ص: ٢٠٣).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ١٦٨).

(٣) نيل الأوطار (٢/ ٢٨٥).

وأيضًا: قد صح عنه ﷺ "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"، فربما يُتَوهمُ قرب المسافة فندب "سبحان ربي الأعلى" دفعًا لذلك التوهم، وأيضًا في السجود غاية الانحطاط من العبد فيناسبه أن يصف فيه ربه بالعلو [١].

قال ابن القيم: وكان وصف الرب بالعلو في هذه الحال، في غاية المناسبة لحال الساجد، الذي قد انحط إلى السفل على وجهه، فذكر علو ربه في حال سقوطه، وهو كما ذكر عظمته في حال خضوعه في ركوعه، ونزه ربه عما لا يليق به مما يضاد عظمته وعلوه [٢]. والله أعلم.

* * * * *

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ١٩٥).

(٢) الصلاة وأحكام تاركها (ص: ١٤٩).

قال المصنف رحمه الله:

٤٢ - ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي)).

نص الحديث: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: **سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي** " يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ [(١)].

- **تقدم شرحه؛ انظر حديث رقم (٣٤).**

*** * * * ***

قال المصنف رحمه الله:

٤٣ - ((سُبوحٌ، قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ)).

نص الحديث: عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، أَنَّ عَائِشَةَ نَبَّأَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ **سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**» [(٢)].

- **تقدم شرحه؛ انظر حديث رقم (٣٥).**

*** * * * ***

(١) صحيح البخاري (١/ ١٥٨) برقم ٧٩٤، و صحيح مسلم (١/ ٣٥٠)، برقم ٢١٧ - (٤٨٤) واللفظ لمسلم.

(٢) صحيح مسلم (١/ ٣٥٣) برقم ٢٢٣ - (٤٨٧).

قال المصنف رحمه الله:

٢٠ - دُعَاءُ الجَلسَةِ بَيْنَ السَّجْدَتَين

٤٨ - ((رَبِّ اغْفِرْ لِي رَبِّ اغْفِرْ لِي)).

نص الحديث: عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي» [(١)].

ولفظ أبي داود: عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ - ثَلَاثًا - ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ، يَقُولُ: لِرَبِّيَ الْحَمْدُ، ثُمَّ سَجَدَ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، فَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، وَكَانَ يَقْعُدُ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سُجُودِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَقَرَأَ فِيهِنَّ الْبَقَرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، أَوِ الْأَنْعَامَ، شَكَّ شُعْبَةُ [(٢)].

قوله: (رَبِّ اغْفِرْ لِي) أي: استرني بمحو ذنوبي مع التجاوز عن المؤاخذة ومناقشة الحساب.

وفي الحديث: أنه ﷺ (كَانَ يَقْعُدُ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سُجُودِهِ) وهذا يدل على أنه كان يقول: (رَبِّ اغْفِرْ لِي) أكثر من المرتين المذكورتين في الحديث، بل كان يكرر ويلح في طلب المغفرة.

---

(١) سنن ابن ماجه (١/ ٢٨٩) برقم ٨٩٧، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (١/ ٣٩، بترقيم الشاملة آليا) برقم ٨٩٧.

(٢) سنن أبي داود (١/ ٢٣١) برقم ٨٧٤، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (ص: ٢، بترقيم الشاملة آليا) برقم ٨٧٤، ومشكاة المصابيح (١/ ٣٧٦) برقم ١٢٠٠.

قال ابن رجب: واستحب الإمام أحمد ما في حديث حذيفة، ....وقال: يقول: (رَبِّ اغْفِرْ لِي) ثلاث مرات، أو ما شاء........وحمل حديث حذيفة أنه كان يكرر ذلك؛ فإن في حديثه: أن جلوسه بين السجدتين كان نحوًا من سجوده [(١)].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) فتح الباري لابن رجب (٧/ ٢٧٦).

قال المصنف رحمه الله:

٢١ - دُعَاءُ سُجُوْدِ التِّلاوَةِ

٥٠ - ((سَجَدَ وَجْهِيَ لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ، بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ})).

نص الحديث: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «يَقُولُ فِي سُجُودِ الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» [١].

قوله: (سَجَدَ وَجْهِي) أَيْ خَضَعَ، وَذَلَّ، وَانْقَادَ، وخص الوجه بالسجود لأنه أشرف الأعضاء، والمراد سجدت جملتي ورأسي، (لِلَّذِي خَلَقَهُ) أي: أوجده من العدم، وأسبغ عليه النعم، (وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، بِحَوْلِهِ وقُوَّتِهِ) أي: فتح في الوجه موضع السمع والبصر وأعطاهما الإدراك بقدرته. وهذا من باب ذكر العام وهو الوجه، ثم الخاص وهو شق السمع والبصر.

(فَتَبَارَكَ اللَّهُ) أي تقدّس، وتنزّه، وتعالى، وتعاظم اللَّه عزَّ وجلَّ، [وكثرت خيراته].

(أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) بالرفع على أنه بدل من لفظ الجلالة؛ أي: أحسن المصورين والمقدرين، فإنه الخالق الحقيقي المنفرد بالإيجاد والإمداد، وغيره إنما يوجد صورًا مُمَوَّهَةً، ليس فيها شيء من حقيقة الخلق، مع أنه تعالى خالق كل صانع وصنعته، كما قال تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}[٢]. وقال العلامة القرطبيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (أَحْسَنُ الْخالِقِينَ) أَتْقَنُ الصَّانِعِينَ [٣].

*****

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٤٢) برقم ٨٠٢، وقال «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» ووافقه الذهبي، وأخرجه من غير زيادة {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} أحمد (٤٣/ ٢١) برقم ٢٥٨٢١، وأبو داود (٢/ ٦٠) برقم ١٤١٤، والترمذي (٢/ ٤٧٤) برقم ٥٨٠، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (ص: ٢، بترقيم الشاملة آليا) برقم ١٤١٤.

(٢) [الصافات: ٩٦].

(٣) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (١٦/ ١٠٤).

قال المصنف رحمه الله:

٢٢ – التَّشَهُّدُ [١]

٥٢ – ((التَّحيّاتُ للَّهِ، والصَّلَواتُ، والطَّيِّباتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أيُّها النَّبيُّ ورَحْمَةُ اللَّهِ وبَركَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا وعَلَى عِبادِ اللَّهِ الصَّالِحينَ. أشْهَدُ أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ وأشْهَدُ أنَّ مُحَمّداً عَبْدُهُ ورَسولُهُ)).

نص الحديث: عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ [٢]: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْنَا: السَّلاَمُ عَلَى جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ السَّلاَمُ عَلَى فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلاَمُ، فَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلْ: **التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ**، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، **أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ** " [٣].

قوله: (التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ) "التَّحِيَّاتُ": جَمْعُ التَّحِيَّةِ، وَهِيَ: السَّلَامُ: أي: التَّحِيَّاتُ الَّتِي تُعَظَّمُ بِهَا الْمُلُوكُ كُلُّهَا مُسْتَحَقَّةٌ لِلَّهِ تَعَالَى.

وَقِيلَ: الْعَظَمَةُ: أي: الْعَظَمَةُ الْكَامِلَةُ لِلَّهِ. قال الْخَطَّابِيُّ ثُمَّ الْبَغَوِيُّ: "وَلَمْ يَكُنْ فِي تَحِيَّاتِهِمْ شَيْءٌ يَصْلُحُ لِلثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ فَلِهَذَا أُبْهِمَتْ أَلْفَاظُهَا وَاسْتُعْمِلَ مِنْهَا مَعْنَى التَّعْظِيمِ، ((التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ أَيْ: أَنْوَاعُ التَّعْظِيمِ لَهُ))".

وَقِيلَ: الْمُلْكُ: ومَعْنَاهُ: الْمُلْكُ الْحَقِيقِيُّ التَّامُّ لِلَّهِ. لِأَنَّ مَا سِوَى مُلْكِهِ وَعَظَمَتِهِ تَعَالَى فَهُوَ نَاقِصٌ.

---

(١) وسميت التحيات بالتشهد لأنها تشتمل على الشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ وهذا الجزء هو الأشرف من هذا الذكر فلذلك سُمي به.

(٢) يعني ابن مسعود.

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له (١/ ١٦٦) برقم ٨٣١، كتاب الأذان، باب التشهد في الآخرة. ومسلم (١/ ٣٠١) برقم ٥٥ - (٤٠٢) كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة.

وَقِيلَ: الْبَقَاءُ والدوام: ولَا شَكَّ فِي اخْتِصَاصِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ.
وَقِيلَ: السَّلَامَةُ مِنَ الْآفَاتِ وَالنَّقْص.
وَقَالَ الْمُحِبُّ الطَّبَرِيُّ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لَفْظُ التَّحِيَّةِ مُشْتَرَكًا بَيْنَ [هذه] الْمَعَانِي، وَكَوْنُهَا بِمَعْنَى السَّلَامِ أَنْسَبُ هُنَا [(١)].

قوله: (وَالصَّلَوَاتُ) قيل: المراد الخمس، أو ما هو أعم من ذلك من الفرائض والنوافل، وقيل: العبادات كلها، وقيل الدعوات.

قوله: (وَالطَّيِّبَاتُ) أي: ما طاب من الكلام، وحَسُن أن يثنى به على الله – تعالى – دون ما لا يليق بصفاته، وقيل: الأقوال الصالحة كالدعاء والثناء، وقيل: الأعمال الصالحة، وهو أعم.
فله سبحانه من الأوصاف والأفعال أطيبها؛ لأنه طيب في ذاته وصفاته وأفعاله، وله كذلك من أعمال العباد، وأقوالهم أطيبها، لأنه المستحق لذلك: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}.

قوله: (السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ) السلام بمعنى السلامة، والسلام من أسماء الله تعالى؛ والمعنى أنه سالم من كل عيب وآفة ونقص وفساد؛ ومعنى قولنا: السلام عليك ... الدعاء؛ أي: سلمت من المكاره، وسلمك الله من كل سوء.

قوله: (وَرَحْمَةُ اللَّهِ) الرحمة هنا: صفةٌ لله تعالى تليق بجلاله، يرحم بها عباده، وينعم عليهم بها.
والرحمة إذا قُرنت بالمغفرة أو بالسَّلام صار لها معنى، وإن أُفردت صار لها معنى آخر،
فإذا قُرنت بالمغفرة، أو بالسلام صار المراد بها: ما يحصُل به المطلوب،
والمغفرة والسلام: ما يزول به المرهوب،
وإن أُفردت شملت الأمرين جميعًا، فأنت بعد أن دعوت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالسَّلام دعوت له بالرَّحمة؛ ليزول عنه المرهوب ويحصُل له المطلوبُ [(٢)].

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢/ ٣١٢)، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد (١/ ٣٠٦) بتصرف.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٣/ ١٥٢).

قوله: (وَبَرَكَاتُهُ) أي: زيادته من كل خير. وهذه البركة تشمل:
البركة في حياته: ويدخل فيها البركة في طعامه، وشرابه، وكسوته، وأهله، وعمله.
والبركة بعد موته: بكثرة أتباعه، واتباعهم له فيما شرع.

قوله: (السَّلَامُ عَلَيْنَا) استدل به على استحباب البداءة بالنفس في الدعاء.
قال ابراهيم ﷺ: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} [١].
وقال نوح ﷺ: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [٢].
وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا فَدَعَا لَهُ بَدَأَ بِنَفْسِهِ» [٣]. وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام: قال ﷺ: "رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى، لَوْلَا أَنَّهُ عَجَّلَ لَرَأَى الْعَجَبَ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ مِنْ صَاحِبِهِ ذَمَامَةٌ، {قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا} وَلَوْ صَبَرَ لَرَأَى الْعَجَبَ " – قَالَ: وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بَدَأَ بِنَفْسِهِ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى أَخِي كَذَا [٤].

قوله: (وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ) من هم عباد الله الصالحين ؟ : كُلُّ عبدٍ صالح في السماء والأرض؛ حيّ أو ميِّت من الآدميين، والملائكة والجِنِّ [٥].

من هو الصالح ؟؟ الصالح في الدنيا: قال ابن حجر: الْقَائِمُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ، وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، وَتَتَفَاوَتُ دَرَجَاتُهُ، قَالَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْظَى بِهَذَا السَّلَامِ الَّذِي يُسَلِّمُهُ الْخَلْقُ فِي الصَّلَاةِ، فَلْيَكُنْ عَبْدًا صَالِحًا، وَإِلَّا حُرِمَ هَذَا الْفَضْلُ الْعَظِيمُ" [٦].

---

(١) [إبراهيم: ٤٠، ٤١].
(٢) [نوح: ٢٨].
(٣) سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٤٦٣) برقم ٣٣٨٥، وصححه الألباني.
(٤) صحيح مسلم (٤/ ١٨٥١) برقم ١٧٢ - (٢٣٨٠).
(٥) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٣/ ١٥٤).
(٦) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٣١٤).

والصالح في الآخرة: إِنَّمَا هُوَ الفائز، قال الله ﷻ: {وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} [١]، أَرَادَ الفائزين قال الزجاج: فَالصالحُ في الآخرة الفائز [٢].

قوله: (أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أي: أعلم وأبين، وأعترف وأقر، بأن الله هو المستحق للعبادة وحده، فلا معبود بحق إلا الله.

والشهادة تشمل: اعتقاد القلب، وإخبار اللسان؛ فمن اعتقد بقلبه دون أن يتكلم بلسانه لم يعدّ شاهدًا، ومن تكلم بلسانه –كحال المنافقين– ولم يعتقد بقلبه، لم يكن شاهدًا بما دلت عليه كلمة التوحيد.

(وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) الإيمان الجازم أن محمدًا عبدٌ مرسل من قِبَل الله، يجب: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألَّا يُعبد الله إلا بما شرع.

* * * * *

(١) [البقرة: ١٣٠]، [النحل: ١٢٢]، [العنكبوت: ٢٧].

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢١١)، وأيضًا: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٣/ ١٥٢).

قال المصنف رحمه الله:

٢٣ - الصَّلاةُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ بَعْدَ التَّشَهُّدِ

٥٣ - ((اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى مُحمَّدٍ، وَعلَى آلِ مُحمَّدٍ، كَمَا صلَّيتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ، وَعلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلَى آلِ مُحمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ)).

نص الحديث: قَالَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، فَقَالَ: أَلاَ أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَأَهْدِهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الصَّلاَةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ: " قُولُوا: **اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ** " [١].

قوله: (اللَّهُمَّ) يا الله (صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ) وصلاة الله ﷻ على محمد رسوله وعبده؛ هي: الثناء عليه في الملأ الأعلى، أي عند الملائكة المقربين. والصلاة من الملائكة وغيرهم؛ بمعنى الدعاء.

قَالَ أَبُو العَالِيَةِ: "صَلاَةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلاَئِكَةِ، وَصَلاَةُ المَلاَئِكَةِ الدُّعَاءُ" [٢].

وقال ابن الأثير: فأمَّا قَوْلُنَا: اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى محمَّد فَمَعْنَاهُ: عظِّمْه فِي الدُّنْيَا بإعْلاء ذِكْرِه، وإظهارِ دَعْوته، وَإِبْقَاءِ شَرِيعَتِهِ، وَفِي الْآخِرَةِ بتَشْفِيعه فِي أمَّته، وتَضْعِيفِ أجْرِه ومَثُوبَتِه. وَقِيلَ: الْمَعْنَى لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَه بالصَّلَاة عَلَيْهِ وَلَمْ نَبْلُغ قدرَ الواجِب مِنْ ذَلِكَ أحَلْنَاهُ عَلَى اللهِ، وقُلْنا: اللَّهُمَّ صَلِّ أَنْتَ عَلَى مُحَمَّدٍ، لِأَنَّكَ أعلمُ بِمَا يَلِيقُ بِهِ [٣].

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٤٦) برقم ٣٣٧٠.

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٢٠).

(٣)النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٥٠).

قوله: (وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ) من هم آل بيت النبي ﷺ ؟؟ هم: أزواجه وذريته وبنو هاشم وبنو عبد المطلب ومواليهم. لقول الله تعالى بعد أن أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}. ولقوله ﷺ: «إِنَّمَا بَنُو الْمُطَّلِبِ، وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ» [(١)].ولقوله ﷺ: «إِنَّا آلُ مُحَمَّدٍ لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ وَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ» [(٢)][(٣)].

- إذا قُرن الآل، بالأصحاب، والأتباع، كقولنا مثلًا: [اللهم صلِّ على محمد، وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه بإحسان]؛ فالمراد بالآل: قرابته المؤمنون، والأصحاب: صحابته، والأتباع: أتباعه على دينه.

قوله: (كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ) الكاف في قوله: «كما صلَّيت» للتعليل من باب التوسل بفعل الله السابق وهو الفضل على إبراهيم وآله، إلى تحقيق فضل الله اللاحق، وهو الفضل لمحمد وآله.

(وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ) قال ابن حجر: "هُمْ ذُرِّيَّتُهُ مِنْ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ .... وَإِنْ ثَبَتَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ لَهُ أَوْلَادٌ مِنْ غَيْرِ سَارَةَ وَهَاجَرَ فَهُمْ دَاخِلُونَ لَا مَحَالَةَ ثُمَّ إِنَّ الْمُرَادَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ بَلِ الْمُتَّقُونَ فَيَدْخُلُ فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ دُونَ مَنْ عَدَاهُمْ [(٤)].

قال النووي: وَيَدْخُلُ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ خَلَائِقُ لَا يُحْصَوْنَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَلَا يَدْخُلُ فِي آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيٌّ فَطَلَبَ إِلْحَاقَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ الَّتِي فِيهَا نَبِيٌّ وَاحِدٌ بِتِلْكَ الْجُمْلَةِ الَّتِي فِيهَا خَلَائِقُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ [(٥)].

قوله: (بَارِكْ) من البركة؛ وهي الزيادة والثبوت والدوام؛ أي: أدم شرفه وكرامته وتعظيمه وزد له في ذلك. (إِنَّكَ حَمِيدٌ) أي: محمود الأفعال والصفات، مستحق لجميع المحامد، (مَجِيدٌ) أي: عظيم كريم [(٦)].

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ٩١).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٢٤/ ٤٧٨).

(٣) موقع الإسلام سؤال وجواب (٩/ ٢١١، بترقيم الشاملة آليا).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٦٢).

(٥) شرح النووي على مسلم (٤/ ١٢٦).

(٦) شرح حصن المسلم لمجدي بن عبد الوهاب الأحمد (ص: ١٢٤ : ١٢٥).

قال المصنف رحمه الله:

٢٤ - الدُّعَاءُ بَعْدَ التَّشَهُّدِ الأَخِيرِ قَبْلَ السَّلَامِ

٥٥ - ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)).

نص الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: **اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ** " [(١)].

(**اللهُمَّ**) يا الله (**إِنِّي أَعُوذُ بِكَ**) ألجأ إليك (**مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ**) وجهنم اسم لنار الآخرة التي أعدها الله للكافرين ، أعاذنا الله منها.

(**وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**): وَهُوَ ضَرْبُ مَنْ لَمْ يُوَفَّقْ لِلْجَوَابِ بِمَقَامِعَ مِنْ حَدِيدٍ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَالْمُرَادُ بِالْقَبْرِ الْبَرْزَخُ، وَالتَّعْبِيرُ بِهِ لِلْغَالِبِ، أَوْ كُلُّ مَا اسْتَقَرَّ أَجْزَاؤُهُ فِيهِ فَهُوَ قَبْرُهُ [(٢)].

(**وَمِنْ فِتْنَةِ**[(٣)] **الْمَحْيَا**) قال ابن دقيق العيد: [وهي:] مَا يَتَعَرَّضُ لَهُ الْإِنْسَانُ مُدَّةَ حَيَّاتِهِ، مِنْ الِافْتِتَانِ بِالدُّنْيَا وَالشَّهَوَاتِ وَالْجَهَالَاتِ، وَأَشَدُّهَا وَأَعْظَمُهَا - وَالْعِيَاذُ بِاَللَّهِ تَعَالَى: أَمْرُ الْخَاتِمَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ.

(**وَالْمَمَاتِ**) يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهَا الْفِتْنَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ. أُضِيفَتْ إلَى الْمَوْتِ لِقُرْبِهَا مِنْهُ. وَتَكُونُ فِتْنَةُ الْمَحْيَا - عَلَى هَذَا - مَا يَقَعُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي مُدَّةِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ ..... وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِفِتْنَةِ

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٤١٢) برقم ١٢٨ - (٥٨٨).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٧٠٤ : ١٧٠٥).

(٣) أصل الفتنة في كلام العرب الامتحان والاختبار، ثم صارت في عرف الكلام لكل أمر كشفه الاختبار عن سوء، نسأل الله العافية.

الْمَمَاتِ: فِتْنَةَ الْقَبْرِ، كَمَا صَحَّ عَنْ النَّبيِّ ﷺ فِي فِتْنَةِ الْقَبْرِ أنه قال: "وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ – أَوْ قَرِيبَ مِنْ – فِتْنَةِ الدَّجَّالِ" [١] [٢]. ويحتمل أنها شاملة للأمرين جميعًا.

(وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ) وَهُوَ الَّذِي يَظهرُ فِي آخرِ الزمانِ ويَدَّعِي الأُلُوهيَّة، ويقع على يديه من الفتن، والشبهات التي لا ينجو منها إلا من وفقه الله عز وجل، وفتنته من أعظم الفتن التي تمر على البشرية، قال ﷺ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ» [٣].

لماذا سُمِّيَ بالمسيح الدجال ؟

سُمِّيَ بالمسيح: لأن إحدى عينيه ممسوحة، قال ﷺ : «الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ ... » [٤].

وقيل: سُمي به؛ لأن الخير مُسِحَ منه، فهو مسيح الضلالة.

وقيل: لأنه يمسح الأرض؛ أي: يقطعها بسرعة طولًا وعرضًا، في أربعين يومًا، ويدخل كل البلدان إلا مكة والمدينة، وذلك لحراسة الملائكة لهما كما أخبر بذلك النبي ﷺ. فعن أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ، إِلَّا عَلَيْهِ المَلاَئِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ» [٥].

وأما تسميته بالدجال: فلأنه خدَّاع، ملبِّس على الناس، يغطي الحق بالباطل، كَثِيرُ الْفَسَادِ بِدِينِ الْعِبَادِ. وَأَصْلُ الدَّجْلِ: الخَلْطُ. يُقَالُ: دَجَّلَ إذَا لَبَّسَ ومَوَّهَ. ودجَّال على وزن فَعَّال مِنْ أبْنية الْمُبَالَغَةِ: أَيْ يَكْثُرُ مِنْهُ الكَذِبُ والتَّلْبِيس، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «يكونُ فِي آخرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ» أَيْ كَذَّابون مُمُوِّهُون [٦].

---

(١)صحيح البخاري (١/ ٤٨) برقم ١٨٤.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (١/ ٣١١).

(٣) رواه مسلم من حديث عمران بن حصين (٤/ ٢٢٦٦) برقم ١٢٦ - (٢٩٤٦).

(٤) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٤٨) برقم ١٠٣ - (٢٩٣٣).

(٥) صحيح البخاري (٣/ ٢٢)، برقم ١٨٨١.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٠٢) بتصرف يسير.

لماذا تعوذ النبي ﷺ ، من فتْنَة الْمَسِيح الدَّجَّال، مَعَ علمه بِأَنَّهُ مُتَأَخّر عَن ذَلِك الزَّمَان بكَثِير؟

قال العيني: فَائِدَته أَن ينتشر خَبره بَين الْأمة من جيل إِلَى جيل، وَجَمَاعَة إِلَى جمَاعَة، بِأَنَّهُ كَذَّاب مُبْطل مفترٍ ساعٍ على وَجه الأَرْض بِالْفَسَادِ، مموه سَاحر، حَتَّى لَا يلتبس على الْمُؤمنِينَ أمره عِنْد خُرُوجه، عَلَيْهِ اللَّعْنَة، ويتحققوا أمره ويعرفوا أَن جَمِيع دعاويه بَاطِلَة، كَمَا أخبر بِهِ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم [(١)].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٦/ ١١٧).

قال المصنف رحمه الله:

٢٥ – الأَذْكَارُ بَعْدَ السَّلاَمِ مِنَ الصَّلاَةِ

٦٦ – ((أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ (ثَلاَثاً) اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ، وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالْإِكْرَامِ)).

نص الحديث: عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**» قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: " كَيْفَ الْاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: **أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ** "[١]، وَفِي رِوَايَةٍ منْ حديث عَائِشَةَ «**يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**»[٢].

(**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ**) يعني: قضى صلاته، وسَلَّمَ منها.

(**اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا**) أي: قال: "أستغفر الله" ثلاث مرات، قَالَ الْوَلِيدُ –وهو أحد رواة الحديث–: فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: "كَيْفَ الْاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ".

(**أَسْتَغْفِرُ اللهَ**) أي: أطلب من الله الغَفْر أي: السِّتْرَ والصفح والعفو: مِنْ تَقْصِيرِي فِي الطَّاعَةِ، أَوْ مِنْ رُؤْيَةِ نَفْسِي فِي الْعِبَادَةِ[٣]. والمَغْفِرَة: إلْبَاس اللَّهِ تَعَالَى العَفْوَ للمُذْنِبين[٤].

(١) صحيح مسلم (١/ ٤١٤) برقم ١٣٥ - (٥٩١).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٤١٤) برقم ١٣٦ - (٥٩٢).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٦٠٩)، وفيض القدير (٥/ ١١٨).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٧٣).

"وقال ابن منظور في "لسان العرب": أصل الغَفْر: التغطية والستر، يقال: غَفَرَ اللَّهُ ذنوبَهُ: أي سترها، قال: وكلُّ شيء سترته، فقد غفرته، وقال أيضًا: الغَفْرُ والمغفرة: التغطية على الذنوب، والعفوُ عنها، ويقال: استغفر اللَّهَ من ذنبه، ولذنبه بمعنًى، واستغفر اللَّه ذنبَهُ على حذف الحرف: طَلَبَ منه غَفْرَه، وأنشد سيبويه: أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَه، ... رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ القولُ والعملُ [(١)].

والسبب في الاستغفار بعد الصلاة: أن العبد لم يقم بحق الصلاة كما ينبغي على وجه التمام والكمال، فقد يعرض للعبد في صلاته من التقصير والنقص، والهواجس والشواغل، فَشُرِع له الاستغفار تداركًا لذلك.

قوله: (**اللهُمَّ**) يا الله (**أَنْتَ السَّلَامُ**) السَّلَام: اسْم من أَسمَاء الله عز وَجل، وَمَعْنَاهُ: الَّذِي سلم من كل عيب وَنَقص [(٢)]. وبرئ من كل آفة، في أسمائه وصفاته وأفعاله.

قال ابن القيم رحمه الله:

وهو السلام على الحقيقة سالم ... من كل تمثيل ومن نقصان[(٣)].

قوله: (**وَمِنْكَ السَّلَامُ**) أي: السلامة من النكبات والمعاطب والمهالك ومن كل سوء، فالسلامة تُرجى وتستوهب وتستفاد منك وحدك، فأنت مالكها ومسديها.

قوله: (**تَبَارَكْتَ**) أي: تعاليت وتعاظمت، وأصل المعنى: كثرت خيراتك واتسعت، وقيل معناه: البقاء والدوام.

---

(١) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (١٣/ ١٥٤).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ٢١٦).

(٣) نونية ابن القيم = الكافية الشافية (ص: ٢١٠).

- وهذه اللفظة لا يوصف بها إلا الله وحده، قال تعالى: {تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [١]، وقال: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [٢]، وقال: {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [٣].

قوله: (يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) أَيْ: هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُجَلَّ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُكْرَمَ فَيُعْبَدَ، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرَ، وَأَنْ يُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {ذِي الْجَلالِ وَالإكْرَامِ} ذِي الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ [٤].

والمعنى: أن الله تعالى هو: المستحق لأن يُهاب لسلطانه وجلاله، ويثنى عليه بما يليق، وهو الرب الذي يستحق على عباده الإجلال والإكرام. قال تعالى: {هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ} [٥]، أَيْ: أَهْلُ أَنْ يُتَّقَى مَحَارِمُهُ وَأَهْلُ أَنْ يَغْفِرَ لِمَنِ اتَّقَاهُ [٦].

*****

(١) [الأعراف: ٥٤]

(٢)[المؤمنون: ١٤]

(٣) [الرحمن: ٧٨].

(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٥١٠).

(٥) [المدثر: ٥٦].

(٦) تفسير البغوي - طيبة (٨/ ٢٧٥).

قال المصنف رحمه الله:

٦٧ - ((**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [ثلاثاً]، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**)).

نص الحديث: عَنْ وَرَّادٍ، مَوْلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: كَتَبَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ، إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**» [1].

وفي رواية للبخاري: عَنْ وَرَّادٍ كَاتِبِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى المُغِيرَةِ: أَنِ اكْتُبْ إِلَيَّ بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ المُغِيرَةُ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنَ الصَّلاَةِ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» **ثَلاَثَ مَرَّاتٍ** [2].

قوله: (**لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ**) أي: لا مانع لما أردت إعطاؤه، فإذا أراد الله تعالى أن يعطي أحدًا شيئًا، واجتمع الإنس والجن على منعه، لعجزوا عن ذلك.

قوله: (**وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ**) أي: ولا أحد يقدر على إعطاء ما منعت، من العطاء بحكمتك وعدلك.

---

(١) رواه مسلم (١/ ٤١٤) برقم ١٣٧ -(٥٩٣) وهذا لفظ مسلم، والبخاري (١/ ١٦٨) برقم ٨٤٤، و (٨/ ٧٢) برقم ٦٣٣٠.

(٢) صحيح البخاري (٨/ ١٠٠) برقم ٦٤٧٣.

قوله: (وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ) (الْجَدُّ) بفتح الجيم: الحظ والغنى والعظمة والسلطان، أي: لا ينفع صاحب الغنى غناه عندك، وإنما ينفعه عمله الصالح.

و(الْجِدُّ) بكسر الجيم: الاجتهاد، أي: ولا ينفع صاحب الاجتهاد منك اجتهاده، إنما ينفعه وينجه رحمتك.

* * * * *

قال المصنف رحمه الله:

٦٨ - ((لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَلاَ نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ)).

نص الحديث: عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، قَالَ: كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، يَقُولُ: فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**» وَقَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ» [1].

قوله: (**وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ**) أي: لا يستحق العبادة سواه، فعبادتنا مقصورة على الله تعالى.

قوله: (**لَهُ النِّعْمَةُ**) أي: النعمة الظاهرة والباطنة، وهي بكسر النون، ما أنعم به من رزق ومال وغيره، فمنه وحده، فهو المنعم بذلك لا غيره، وأما بفتحها: فهي: المسَرَّة والفرح وطيب العيش.

قوله: (**وَلَهُ الْفَضْلُ**) أي: له الفضل على عباده في كل شيء، تفضلًا منه عليهم، من غير استحقاق منهم. {وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.

قوله: (**وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ**) والثناء يشمل: أنواع الحمد والمدح والشكر. والثناء على الله تعالى كله حسن.

والمراد بـــ (**الدِّينَ**): التوحيد، والإخلاص. قوله: (**وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**) أي: نحن على هذا التوحيد، والإخلاص، ولو كره الكافرون ذلك.

* * * * *

(١) صحيح مسلم (١/ ٤١٥) برقم ١٣٩ - (٥٩٤).

قال المصنف رحمه الله:

٦٩ - ((سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ (ثلاثاً وثلاثين) لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)).

نص الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ**، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ " [(١)].

(**سُبْحَانَ اللَّهِ**) أي: أنزه الله عن كل نقص.

(**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ**) أي: له الحمد الكامل المطلق. والحمد هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه الحب له.

(**وَاللَّهُ أَكْبَرُ**) أي: الله الكبير الذي أكبر من كل شيء.

(**وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**) أي: في الكثرة والعظمة مثل زبد البحر؛ وهو: ما يعلو على وجهه عند هيجانه وتموجه، والمراد الصغائر، لأن الكبائر تحتاج إلى توبة خاصة.

*****

(١) صحيح مسلم (١/ ٤١٨) برقم ١٤٦ - (٥٩٧).

قال المصنف رحمه الله:

٧٠ - بسم الله الرحمن الرحيم {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)} بسم الله الرحمن الرحيم {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)} بسم الله الرحمن الرحيم {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)} بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ.

نص الحديث: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ» [(١)].

(أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ) الْمُعَوِّذَات، هي: الإخلاص، والفلق، والناس.

(دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ) أي: بعد السلام من كل صلاة، وهو محمول عند أكثر العلماء على الفرائض.

(قُلْ) أي: قل قولًا جازمًا، معتقدًا له، عارفًا بمعناه. (هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) هو الله الأحد المنفرد بالألوهية، والكمال، لا إله غيره. (اللَّهُ الصَّمَدُ) الله: السيّد الذي انتهى إليه السُّؤدَد في صفات الكمال والجمال، الَّذي تصمد إليه وتقصده الخلائق في قضاء الحوائج والرغائب. (لَمْ يَلِدْ) الَّذي لم يلد أحدًا (وَلَمْ يُولَدْ) ولم يلده أحد، فلا ولد له -سبحانه- ولا والد، ولا صاحبة، لكمال غناه (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) ولم يكن له مماثل في خلقه، ولا نظير، ولا شبيه. لا في أسمائه ولا في صفاته، ولا في أفعاله،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ط الرسالة (٢٨/ ٦٣٣ : ٦٣٤) برقم ١٧٤١٧، وأبو داود في سننه (٢/ ٨٦) برقم ١٥٢٣، والنسائي (٣/ ٦٨) برقم ١٣٣٦، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (ص: ٢، بترقيم الشاملة آليا) برقم ١٥٢٣.

تبارك وتعالى وتقدَّس. {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}. وهذه السورة مشتملة على التوحيد وإثبات تفرد الله بالكمال والألوهية وتنزُّهه عن النقص.

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) قل -أيها الرسول-: أعتصم بربّ الصبح، وأستجير به. (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) من شرّ ما يؤذي من المخلوقات. (وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) وأعتصم بالله من الشرور التي تظهر في الليل من دواب ولصوص. (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ) وأعتصم به من شرّ السواحر اللائي يَنْفُثْن في العُقَد. (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) واعتصم به من شر حاسد مبغض للناس إذا حسدهم على ما وهبهم الله من نعم، وأراد زوالها عنهم، وإيقاع الأذى بهم.

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) قل -أيها الرسول-: أعتصم برب الناس، وألجأ إليه، وأستجير به. فهو القادر وحده على ردِّ شر الوسواس. (مَلِكِ النَّاسِ) ملك الناس، المتصرف في كل شؤونهم، الغنيّ عنهم. يتصرف فيهم بما يشاء، لا ملك لهم غيره. (إِلَٰهِ النَّاسِ) معبودهم بحقّ، لا معبود لهم بحق غيره. (مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ) من شرّ الشيطان الَّذي يلقي وسوسته إلى الإنسان إذا غفل عن ذكر الله، ويتأخر عنه إذا ذكره. (الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ) الذي يلقي بوسوسته إلى قلوب الناس، بإلقاء الشبهات، وتحسين الشر، وتزيين القبيح. (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) وهو يكون من الإنس كما يكون من الجن [١].

* * * * *

(١) انظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم (١/ ٦٠٤)، والتفسير الميسر (١/ ٦٠٤).

قال المصنف رحمه الله:

٧١ - {اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}[1] عقِبَ كلِّ صلاةٍ.

نص الحديث: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ» [2].

(اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) الله الذي لا إله يُعبد بحقٍّ إلا هو وحده دون سواه. (الْحَيُّ) الذي له جميع معاني الحياة الكاملة، لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، ولا يعتريها نقص بوجه من الوجوه. (الْقَيُّومُ) الَّذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع خلقه، وبه قامت جميع المخلوقات فلا تستغني عنه في كل أحوالها (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ) لا يأخذه نعاس ولا نوم؛ لكمال حياته وقيوميته. (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) له وحده ملك ما في السماوات وما في الأرض. (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) لا يملك ولا يتجاسر أحد أن يشفع عنده لأحد إلا بعد إذنه ورضاه. (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) يعلم ما مضى من أمور خلقه مما وقع، وما يستقبلونه مما لم يقع. وهذا دَلِيلٌ عَلَى إِحَاطَةِ عِلْمِهِ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ: مَاضِيهَا وَحَاضِرِهَا وَمُسْتَقْبَلِهَا. فهو المحيط بكل ما كان وبكل ما هو كائن علمًا، لا يخفى عليه شيء منه. (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا

---

(١) [البقرة: ٢٥٥].

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ٤٤) برقم ٩٨٤٨، وعمل اليوم والليلة للنسائي (ص: ١٨٢) برقم ١٠٠، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص: ١١٠) برقم ١٢٤، بلفظ [لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ الجَنَّةِ إِلَّا المَوْتُ]، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٦١) برقم ٩٧٢، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١١٩) برقم ١٥٩٥.

شَاءَ) أَيْ: لَا يَطَّلِعُ أَحَدٌ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَى شَيْءٍ إلا بِمَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَطْلَعَهُ عَلَيْهِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لَا يَطَّلِعُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عِلْمِ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ إِلَّا بِمَا أَطْلَعَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ: {وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا}. (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) أحاط كرسيه –وهو: موضع قَدَمي الرب– بالسماوات والأرض على سَعَتِهما وعِظَمِهما. (وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا) ولا يُثْقِلُه أو يشق عليه حفظهما. (وَهُوَ الْعَلِيُّ) على جميع مخلوقاته؛ بذاته، وقدْرِه، وقهْرِه، وصفاته. (الْعَظِيمُ) في ملكه وسلطانه، الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء [1].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٥/ ٣٩٦)، تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ٦٧٩)، التفسير الميسر (١/ ٤٢)، المختصر في تفسير القرآن الكريم (١/ ٤٢).

قال المصنف رحمه الله:

٧٢ - ((لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) عَشْرَ مَرّاتٍ بَعْدَ صَلاةِ الْمَغْرِبِ وَالصُّبْحِ.

نص الحديث: عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ **صَلَاةِ الفَجْرِ** وَهُوَ ثَانٍ رِجْلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ**، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَحُرِسَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ يَنْبَغِ لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ إِلَّا الشِّرْكَ بِاللَّهِ " [(١)].

وفي لفظ آخر للترمذي: عَنْ عُمَارَةَ بْنِ شَبِيبٍ السَّبَئِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ قَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ عَلَى إِثْرِ المَغْرِبِ** بَعَثَ اللَّهُ لَهُ مَسْلَحَةً [(٢)] يَحْفَظُونَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ مُوجِبَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ مُوبِقَاتٍ، وَكَانَتْ لَهُ بِعَدْلِ عَشْرِ رِقَابٍ مُؤْمِنَاتٍ " [(٣)].

ولفظ ابن حبان: عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**

---

(١) رواه الترمذي، ٥/ ٥١٥، برقم ٣٤٧٤، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٥٥) برقم ٩٨٧٨، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١١٣) برقم ٤٧٢، وقال الألباني ورواه ....النسائي وزاد فيه "بيده الخير"، وزاد فيه أيضًا "وكان له بكل واحدة قالها عتق رقبة مؤمنة".

(٢) قال ابن الأثير: في النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٨٨): المسلحة: القوم الذين يحفظون الثغور من العدو. وسموا مسلحة لأنهم يكونون ذوي سلاح، أو لأنهم يسكنون المسلحة، وهي كالثغر والمَرْقب يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يَطْرُقهم على غفلة، فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٥٤٤) برقم ٣٥٣٤، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٣٤، بترقيم الشاملة آليا) برقم ٣٥٣٤، وحسنه لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١١٣) برقم ٤٧٣.

قديرٌ، عَشْرَ مرَّاتٍ، كُتِبَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَ بِهِنَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكُنَّ لَهُ عَدْلَ عَتَاقَةِ أَرْبَعِ رِقَابٍ، وَكُنَّ لَهُ حَرَسًا مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ، **وَمَنْ قالَهُنَّ إِذَا صلَّى الْمَغْرِبَ دُبُرَ صلَاتِهِ** فَمِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ» [(١)].

ولفظ أحمد: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " مَنْ قَالَ **قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ وَيَثْنِيَ رِجْلَهُ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، وَالصُّبْحِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ**، كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَتْ حِرْزًا مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَحِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَلَمْ يَحِلَّ لِذَنْبٍ يُدْرِكُهُ إِلَّا الشِّرْكَ، وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ عَمَلًا، إِلَّا رَجُلًا يَفْضُلُهُ، يَقُولُ: أَفْضَلَ مِمَّا قَالَ" [(٢)].

(**مَنْ قالَ فِي دُبُرِ صلَاةِ الفَجْرِ**) أي: بعد السلام من صلاة الفجر، وفي رواية أخرى قال: (**وَمَنْ قالَهُنَّ إِذَا صلَّى الْمَغْرِبَ دُبُرَ صلَاتِهِ**) أي: بعد السلام أيضًا من صلاة المغرب.

(**وَهُوَ ثَانٍ رِجْلَيْهِ قبْلَ أنْ يَتَكَلَّمَ**) أي: قبل أن يصرف رجله عن حالتها، التي هي عليها في التشهد.

(**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ**) سبق شرح هذه العبارات.

(**يُحْيِي وَيُمِيتُ**) أي هو المنفرد بالإحياء والإماتة، فلا تموت نفس بسبب أو بغير سبب، إلا بإذنه.

(**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) أي: هو فعال لكل ما يشاء كما شاء، لا يعجزه شيء، ولا يفوت قدرته شيء، فكل مستحيل عليه سهل، وكل عسير عليه يسير.

(**عَشْرَ مَرَّاتٍ**) أي: يكرر هذا الذكر عشر مرات.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥/ ٣٦٩) برقم ٢٠٢٣، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١١٣) برقم ٤٧٤ - (حسن صحيح).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، ط الرسالة (٢٩/ ٥١٢) برقم ١٧٩٩٠. وقال محقق المسند حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإرساله.

(كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي حِرْزٍ) الحرز هو: المكان الذي يحفظ فيه؛ والمراد أنه في وقاية وحفظ، (مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ) أي: من الآفات والشرور.

(وَحُرِسَ) أي: حُفِظ (مِنَ الشَّيْطَانِ) تَخْصِيصٌ بَعْدَ تَعْمِيمٍ لِكَمَالِ الِاعْتِنَاءِ بِهِ.
(وَلَمْ يَنْبَغِ لِذَنْبٍ) أَيْ لَمْ يَجُزْ، وَفِي رِوَايَةِ أحمد –المذكورة آنفًا– "وَلَمْ يَحِلَّ" (أَنْ يُدْرِكَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ) أَيْ: يُهْلِكَهُ وَيُبْطِلَ عَمَلَهُ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ (إِلَّا الشِّرْكَ بِاللَّهِ) أَيْ: إِنْ وَقَعَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ فِي حِصْنِ التَّوْحِيدِ.

وَقَالَ الطِّيبِيُّ: فِيهِ اسْتِعَارَةٌ مَا أَحْسَنَ مَوْقِعَهَا، فَإِنَّ الدَّاعِيَ إِذَا دَعَا بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، فَقَدْ أَدْخَلَ نَفْسَهُ حَرَمًا آمِنًا، فَلَا يَسْتَقِيمُ لِلذَّنْبِ أَنْ يَحِلَّ وَيَهْتِكَ حُرْمَةَ اللَّهِ، فَإِذَا خَرَجَ عَنْ حَرَمِ التَّوْحِيدِ أَدْرَكَهُ الشِّرْكُ لَا مَحَالَةَ، وَالْمَعْنَى: لَا يَنْبَغِي لِذَنْبٍ يُذْنَبُ أَنْ يُدْرِكَ الْقَائِلَ وَيُحِيطَ بِهِ وَيَسْتَأْصِلَهُ، سِوَى الشِّرْكِ. [(١)].

* * * * *

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٧٧٣ : ٧٧٤).

قال المصنف رحمه الله:

٧٣ – ((اللَّهُمَّ إِنِّي أسْأَلُكَ عِلْماً نافِعاً، وَرِزْقاً طَيِّباً، وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً)) بَعْدَ السّلامِ مِنْ صَلاَةِ الفَجْرِ.

نص الحديث: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ «**اللَّهُمَّ إِنِّي أسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا**» [1].

قوله: (**اللَّهُمَّ**) يا الله (**إِنِّي أسْأَلُكَ**) أدعوك وأرجوك وأطلب منك.

قوله: (**عِلْمًا نَافِعًا**) أي: أنتفع به، وأعمل به ليكون حجة لي، لا عليَّ، وأدعو إليه غيري، لتعم بركة العلم.

قوله: (**وَرِزْقًا طَيِّبًا**) أي: حلالًا، ليس فيه شبهة.

قوله: (**وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا**) أي: عندك؛ فتُثيبني وتأجرني عليه أجرًا حسنًا، تفضلًا منك وإنعامًا، إذ التوفيق لا يكون إلا منك.

- فاللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ يَا أَللَّهُ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ، وَلَمْ يَكنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، أن ترزقنا **عِلْماً نافِعاً، وَرِزْقاً طَيِّباً، وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً وأَنْ تَغْفِرَ لنا ذُنُوبنا** إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، آمين.. آمين.. آمين.. وآخر دعوانا أن **الحمد لله رب العالمين**.

وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

* * * * *

(١) سنن ابن ماجه (١/ ٢٩٨) برقم ٩٢٥، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ١٠٢، وانظر: صحيح ابن ماجه، ١/ ١٥٢، ومجمع الزوائد ١٠/ ١١١، [تحقيق مؤلف حصن المسلم].

الفهرس